مسائل كثر حولها

النقاش والجدل

تأليف

الشيخ السيد زين آل سومط باعلوي الحسيني الشافعي

أعده وخرج أحاديثه واستنبط

محمد نور سويد

قدم له ونشره

د. السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي

طبعت على نفقة
السيد يوسف السيد هاشم السيد أحمد الرفاعي
دولة الكويت - ٢٠١٧م
هدية / الديوان الرفاعي - المنصورية
الموقع الإلكتروني (الإنترنت)
WWW.RIFAIEONLINE.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على الهادي الأمين حبيبنا وشفيعنا سيدنا

محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى استنبول: ١٤٤٣ هـ . – ٢٠٢١ ر

مع ثلاثة ملاحق مهمة وهي،

١-ملحق خطورة تكفير المسلم

٢-وملحق عن صوفية شيخ الإسلام القطب ابن تيمية.

٣-وملحق عن صوفية ابن القيم.

كلمات العلماء عن التصوف

قال الحافظ الذهبي في السير :(١٥\٤٠٩)

(والعالم: إذا عُري عن التصوف والتأله فهو فارغ، كما أن الصوفي :إذا عُري عن علم السنة زل عن سواء السبيل) .

هذا هو طريقنا حسب الوصية النبوية:

روى الترمذي وأحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم"؟

قالوا: بلى. قال: " ذكر الله تعالى "

وهذا طريق الصحابة أيضاً رضي الله عنهم

قال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه: "ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله"

وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عبد الله بن سعيد ، مثل هذا وبهذا الإسناد ، وروى بعضهم عنه فأرسله قالوا: بلى.

وروى أحمد في مسنده والطبراني في معجمه عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : (مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ).

قَالُوا: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ: لاَ، وَلَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ، قَالَ اللَّهُ: (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ).

وفي رواية: (ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد؛ إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع).

وصدق من قال:

وَأخجل مِن وقتٍ لا أذكُرك فيه وأنتَ الغنيُ عَن ذكريْ

من كلام الحبيب زين بن سميط حفظه الله:

المسلم لا يخلو من أربع حالات:

١) فإن كان في نعمة فحق الله عليه أن يشكره بقلبه ولسانه وفعله وهو أعلى مرتبه بالشكر " اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ".

٢) وإن كان في نقمة أو ابتلاء فحق الله عليه أن يصبر: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى).

٣) أن يكون في طاعة فعليه أن يشهد المنة لله وحده ولا يغتر بنفسه وطاعته فلولا توفيقه سبحانه وتعالى لما كان كذلك؛ بتوفيقه صار المطيع يطيعه وخالف بالخذلان كل مفارق فسل ربك التوفيق والعفو والرضا وكوناً مع أهل الهدى والحقائق.

٤) أن يكون في معصية فعليه التوبة وكثرة الاستغفار: " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ".

محمد نور سويد

مسائل كثر حولها النقاش والجدل

تأليف الشيخ السيد
زين آل سميط باعلوي الحسيني الشافعي

قدم له ونشره
د.السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي
رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته

أعده وخرَّج أحاديثه وذيله
المهندس المدني الاستشاري
محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الدكتور السيد يوسف الرفاعي رحمه الله

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وحبيبه سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وأوليائه آمين، وبعد:

فإني لما اطلعت على المخطوطة التي كتبها الأخ الحبيب العلامة الشيخ زين ابن سميط آل باعلوي الحسيني الشافعي، سرتني كثيراً، ووجدتها مفيدة ونافعة، وفيها الإجابة السديدة مع الأدلة الشرعية الموثقة من الكتاب والسنة لكثير من المسائل الخلافية التي يدور فيها النقاش بين السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة وبين الأقلية من المخالفين.

لذلك استعنت بالله تعالى على نشرها باسم (مسائل كثر حولها النقاش والجدل)، سائلاً المولى تعالى أن يتقبل جهد المؤلف بها ويجمع القلوب والعقول على كلمة سواء بين المسلمين إنه تعالى خير مسؤول وأكرم مأمول والحمد لله رب العالمين.

الدكتور السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي - الكويت ([1]).

رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى

الموقع في الشيكة العنقودية (الانترنت): http://www.rifaieonline.com/

السيد يوسف الرقاعي مع مصطحباً ولده د يعقوب وهو صغير في حلب وزيارته للشيخ الشهيد محمد الشامي وبعض أولاده رحمهما الله تعالى.

[1]) الدكتور السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي رحمه الله وأسكنه جنات الفردوس، الشريف الحسيب الداعية الذي كان أمة وحده في الدعوة، قاضي حاجات المحبين والقاصدين والمحتاجين فاتح بنغلادش بالمشاريع الخيرية ومن أوائل المحتفلين بالمناسبات النبوية في الكويت، والذي غمرني بعطفه وحبه، وكان لا يرضى ذكر خصومه بسوء، ,وتوفي مساء الجمعة ليلة السبت ١٤ من شهر رجب من سنة ١٤٣٩هجرية والموافق ٣١ من شهر مارس سنة ٢٠١٨ ميلادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعد: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة إمامنا وقدوتنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبعد:

فهذه رسالة مختصرة مفيدة المسماة: (مسائل كثر حولها النقاش والجدل)، تزيد المؤمن إيماناً بما عليه المسلمون عبر التاريخ من الحق، وقد قمت بعمل الآتي لهذا الرسالة:

١) تدقيق النص، ووضع النقاط والفواصل.

٢) وضع الآيات الكريمة مشكلة، واسم السورة بعدها مباشرة.

٣) عمل الحاشية في تخريج الأحاديث النبوية والتعليق باختصار.

٤) اكتفيت بذكر صحيحي البخاري أو مسلم لثبوت صحة الحديث.

٥) عندما لا يكون الحديث في الصحيحين، ذكرت أغلب من خرج الحديث ليعضد بعضه بعضاً.

٦) قمت بتسمية الفصول وترقيمها ووضعها بين قوسين وكل ما بين القوسين فهو مني ().

٧) قمت بترقيم الأسئلة لتسهيل الرجوع إليها وذلك لكل فصل.

٨) قمت بإضافة ملحقين الأول عن حكم التكفير والثاني عن صوفية شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم تلامذته من الدرجة الأولى المشاهير.

٩) استخدمت لتخريج الأحاديث برامج شركة التراث، وشركة حرف، والشاملة، والدرر السنية، وبرنامج جامع الحديث الشريف وغيرهم.

١٠) نقلت مقدمتي في الطبعات السابقة إلى مداخلة في نهاية هذه الرسالة، حسب طلب السيد يوسف رحمه الله رغبة في سرعة دخول القارئ لقراءة الرسالة، وبالله التوفيق.

١١) تم إضافة ثلاثة ملاحق مهمة في هذا الطبعة رقم ١٥، الأول عن حرمة التكفير، والثاني عن صوفية شيخ الإسلام ابن تيمية ثم صوفية ابن القيم رحمه الله بقلم تلامذته.

كويت وكتبه محمد نور ين عبد الحفيظ سويد

الأربعاء ١٤٢٨/١٢/٢٤ هـ. ٢٠٠٨/١/٢ م.

n_sowyed@yahoo.com

n.sowyed@gmail.com

وكان آخر جلوس على الكتاب يوم السبت

١٠ ربيع الثاني ١٤٤١ هـ ٧-١٢-٢٠١٩ م.

وإليك ترجمة المؤلف من صفحة باسمه في الفيس بوك والشابكة أيضاً:

أعلام تريم الحبيب زين بن ابراهيم بن سميط([1]):

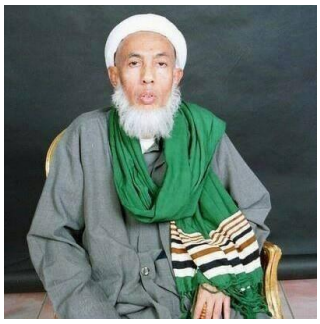

الإمام العلامة الفقيه والداعي إلى الله الحبيب السيد : زين بن إبراهيم بن سميط العلوي الحسيني

اسمه ونسبه:

هو : الإمام العلامة، البحر الفهامة، المحقق الفقيه، العابد الزاهد، المربي والداعي إلى الله، أحد كبار مشائخ العصر، السيد الحبيب أبو محمد : زين بن إبراهيم بن زين بن محمد بن زين بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن سالم بن عبد الله بن محمد سميط بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن علوي بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي ـ عم الفقيه المقدم ـ بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى الرومي بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن سيدنا الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد

فهو سيد من أهل البيت النبوي، حسيني : من ذرية سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا الحسين، علوي الفرع من نسل الشريف علوي حفيد الإمام المهاجر، شافعي المذهب، سُني الإعتقاد، سلفي المشرب على طريقة أجداده الحضارمة من السادة آل أبي علوي رضي الله عنهم جميعاً.

مولده ونشأته: وُلِدّ المُترجمُ لهُ عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٦م) بمدينة جاكرتا بإندونيسيا في أُسرةٍ مُتدينةٍ لوالدينِ عُرفا بالخير والصلاح، وكان والد ه رحمه الله رجلاً صالحاً تقياً، ذا سكينةٍ ووقارٍ وأخلاقٍ كريمةٍ، وقد تولى في آخرِ عمرهِ الإمامةَ في مسجدِ الحبيب عبد الله بن محسن العطاس في مدينة (بوقور)، ومما يدل على وفورِ عقله وسِعةِ إدراكه هجرتهُ بأولاده ومنهم المترجَم وهم صغار إلى مدينة (تريم) بحضرموت، خوفاً عليهم من الفتنةِ والفساد، ثم عادَ إلى إندونيسيا، وبعد سنواتٍ عديدةٍ صارت تصلهُ الرسائل من ولده المترجَم وقد نبغ في العلم وصار مُشاراً إليهِ بالبنان، فكان الوالد يأخذ تلك الرسائل ويضعها فوق رأسهِ وهوَ يبكي من شدةِ الفرح، ولم يلتقي الوالد بولدهِ المترجَم بعد أن هاجرَ إلى حضرموت إلا بعد سنواتٍ طويلةٍ في الحرمين الشريفين عندما حج المترجمُ حَجة الإسلام، عاد بعدها الوالدُ إلى إندونيسيا، وبدينة (بوقور) كانت وفاتهُ رحمه الله تعالى.

كان والدُ المترجَمِ لهُ رحمهُ الله يأخذهُ في صِغرهِ إلى مجلسِ الحبيب العارفِ بالله علوي بن محمد الحداد (صاحب بوقور ونقيب السادة العلويين في تلك البلاد المتوفي ببوقور سنة ١٣٧٣ هـ رحمه الله تعالى)، ويحضر أحياناً مدرس الحبيب الداعي إلى الله الإمام علي بن عبد الرحمن الحبشي الذي كان يُقيمه ضحى كلَّ يوم أحد في بيته بـ (كويتانج)، فأدركتهُ بركة الحضور في تلك المجالس العلمية الشريفة، ويُعدُّ الحبيب علوي أولَّ شيخوهِ في حيات المترجم، تعلَّمَ المُترجم في مدارس (جاواة) القراءةَ والكتابة، وتلقى القرءآن الكريم وعلمَ التجويد، وفي عام ١٣٧١ هـ (١٩٥٠ م) رحل بهِ والدهُ إلى (حضرموت) وكان عُمرهُ نحو ١٤ سنة، وأقام في منزل والدهِ في المدينة المباركة (تريم) الغناء.

طلبهُ للعلم وشيوخه:

---

[1]) فيس بوك باسم الشيخ

في (تريم) شمَّرَ المترجَم لهُ عن ساعد الجِدِّ وأقبلَ بالكليةِ على التلقي والطلب، متنقلاً بين مدارس تلك المدينةِ ومآثرها المُباركة، خصوصاً (رباط تريم) فقرأ هناك المختصرات الفقهية على العلامة الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ، وحفظ عليهِ صفوة الزبد للإمام ابن رسلان الشافعي و(الإرشاد) للشرف ابن المُقري حفظ إلى باب الجنايات منهُ، وقرأ عليهِ كتبهُ في الفرائضِ والنكاح، وبعض (المنهاج)، ومجموعة من كتب الأخلاق والرقائق، وطرفاً من علمِ الفلك، وحفظ منظومة (هدية الصَدِيق) للإمام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر. وأخذ عن الحبيب عمر بن علوي الكاف، أخذ النحو والمعاني والبيان، وقرأ عليهِ (متممة الأجرومية)، وحفظ (الألفية) لابن مالك وابتدأ في شرحها عندهُ. وأخذ الفقه أيضاً عن العلامة المحقق الشيخ محفوظ بن سالم الزُّبيدي، وعن الشيخ الفقيه مفتي تريم : سالم سعيد بكيِّر باغيثان وقرأ (ملحة الإعراب) للحريري على الحبيب سالم بن علوي خِرد، وأخذ في الأصول عن الشيخ فضل بن محمد بافضل وعن الحبيب عبد الرحمن بن حامد السِّري، وقرأعليهما في (متن الورقات) .

وكان يحضرُ مجالس الحبيب العارف بالله علوي بن عبد الله بن شهاب الدين وروحتهُ، ومدرس الرباط بعد الفجر يوم السبت والأربعاء، ومجلس الشيخ علي (ابن أبي بكر السكران). وأخذ أيضاً عن الحبيب البركة جعفر بن أحمد العيدروس، وكان يتردد عليه كثيراً، وحصلت لهُ منهُ إجازات كثيرة. وأخذ عن الحبيب القدوة المُسند إبراهيم بن عمر بن عقل، والحبيب البركة أبي بكر العطاس بن عبد الله الحبشي، وقرأ عليهِ في (الأربعين الأصل) للإمام الغزالي، وغيرهم الكثير ممن أخذ عنهم، وكان مشائخهُ يُثنون عليهِ لتميزه بين أقرانهِ، وحُسنِ تأدبهِ وسُلوكهِ وأخلاقه

واستجاز المُترجَمُ له كثيراً من المشايخ من أعلام السادة بني علوي وغيرهم من علماء العالمَ الإسلامي، كالعلامة العارف بالله الحبيب محمد بن هادي السقاف، والعلامة الحبيب أحمد بن موسى الحبشي، والعلامة المحدث السيد علوي بن عباس المالكي، والحبيب العلامة الداعية عمر بن أحمد بن سميط، والحبيب القدوة أحمد مشهور بن طه الحداد، والحبيب القدوة عبد القادر بن أحمد السقاف، والعلامة السيد محمد بن أحمد الشاطري وغيرهم. وتراجِمُ هؤلاءِ جميعاً مُفصلةٌ في (ثبت أسانيد المترجَم وشيوخه). وكانت مدة طلب المترجَم له للعلمِ في مدينةِ (تريم) نحو ثمانيَ سنين، قضاها جاداً مُجتهداً مُتفانياً في الطلب والإستمدادِ من ذلك المنهل العذبِ النَّمير في تلك المدينة المشهورة ببركتها الفياضة وكثرة من فيها من العلماء والصالحين، فضلاً عما شرُفت بهِ من مشاهير الأولياء، وآثار الأسلاف، والبقاع المباركة.

انتقاله إلى مدينة البيضاء: بعد مُضي تلك الأعوام الثمانية التي قضاها المترجمَم في مدينة (تريم)؛ أشار عليه شيخه الحبيب العلامة محمد بن سالم بن حفيظ بالإنتقال إلى مدينة (البيضاء) ــ وتقع في أقصى جنوب اليمن ــ للتدريس في رباطها، والمشاركة في واجبات الدعوة إلى الله هناك، وذلك بعد طلب من علامة اليمن ومفتي (البيضاء) الحبيب العارف بالله والداعي إلى الله السيد محمد بن عبد الله الهدار رحمه الله تعالى، فتوجه المترجم إلى هناك، ماراً في طريقه بمدينة (عدن) حيث التقى بالحبيب سالم ابن عبد الله الشاطري (مدير رباط تريم حالياً)، أحد أقرانه وأحبابه، وكان الحبيب سالم آنذاك خطيباً وإماماً في منطقة (خور مكسر) من نواحي (عدن)، وكانت لديه مكتبة حافلة بالكتب يعكف على مطالعتها ويجتهد في ذلك، فكانت بينه وبين المترجم مذاكرات علمية، وطالعا سوياً كثيراً من نفائس تلك المكتبة.

ثم تابع المترجم سيره من (خور مكسر) إلى مدينة البيضاء، حيث استقبله الحبيب محمد الهدار وفرح به فرحاً شديداً ومنذ وصول المترجم إلى هناك وهو مشمرٌ في تدريس الطلاب تلو الطلاب، يواصل في ذلك الليل والنهار.

وقد زوجه الحبيب الهدار ابنته، وأجازه بمروياته، وكان المترجم يحضر دروسه ومجالسه العامة ويعده من أكبر شيوخه الذين انتفع بهم وإن لم يقرأ عليه في الكتب العلمية كثيراً كما قرأ على غيره، وكان المترجم الساعد الأيمن للحبيب الهدار، وكان الحبيب محمد يستعين به في إقامة الدروس العلمية، لا نصرافه هو للدعوة والجلسات العمة والوعظ، وكان يُنيبه في الخطابة عنه عند أسفاره وتنقلاته، وأنابه عنه أيضاً في الإجابة على الإستفتاءات الفقهية.

ومكث المترجم له في مدينة (البيضاء) أكثر من عشرين عاماً، خادماً للعلم وطلابه، ومُفتياً على مذهب الشافعي، وانتفع به كثيرون، وتخرج به جماعة من نبلاء الطلبة وفضلاء العلماء والدعاة، وكان يـخرج للدعوة إلى الله مع بعض طلبته إلى كثير من القرى المنتشرة حول مدينة (البيضاء). وخلال تلك الأعوام كان له في رباط البيضاء الإقبال التام على المجاهدة والعبادة وتهذيب النفس، مع الجد والتشمير والاجتهاد في مطالعة كتب التفسير والحديث والفقه وغيرها وكتب السلف، وكانت له همة لا تعرِف الكللَ في التدريس، والتربية للمريدين، وإرشاد الغواة والجاهلين.

وكان المترجَم له عند الحبيب محمد الهدار رحمه الله مكانة، حتى إن الحبيب الهدار كان إذا عرَضت له مسألة علمية وأجاب عنها المترجَم له كان يقول : (إذا أجاب الحبيب زين فلا داعي للمراجعة) لِشدة وُثوقِهِ بعِلمه، وأثناء هذه المدة كان للمترجم له عدة رحلات في موسم الحج ومواسم الزيارات، التقى فيها بكثير من العلماء والصلحاء، فأخذ عنهم واستجازهم.

في جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم :

بعد ٢١ سنة من الجُـهدِ المتواصل في مجالَي العلم والدعوة؛ هاجر المؤلف إلى أرض الحجاز، ثم دُعيَ لا فتـتاح رباط السيد عبد الرحمن بن حسن الجفري رحمه الله تعالى في المدينة المنورة، فاستقر به المقام في مهاجر جده المصطفى صلى الله عليه وسلم .

سافر المترجَم له إلى المدينة في رمضان عام ١٤٠٦ هـ، واشترك هو والحبيب سالم ابن عبد الله الشاطري في القيام بأعباء رباط الجفري، وقاما بذلك خير قيام مدة ١٢ سنة، انتقل بعدها الحبيب سالم إلى (تريم) للقيام بشؤون رباطها بعد إعادة افتـتاحه، وبقي المتلاجَم قائماً بالتدريس والتوجيه في رباط المدينة، وكان يفِدُ إلى الرباط المذكور الكثير من طلاب العلم، من أنحاء متعددة من البلاد الإسلامية، وتـخرج على يدي المترجَم الكثير منهم، ورغم كثرة طلبة المترجَم له وتزايدهم وانشغاله بتدريسهم وتربيتهم مع التقدم في السِّن،؛ إلا أن ذلك لم يُثنِ عزمه عن اغتنام التلقي عن عدد من العلماء الفحول المُقيمين بالمدينة المنورة، فأخذ علم الأصول عن العلامة الأصولي الفقيه الشيخ زيدان الشنقيطي المالكي قرأ عليه في (الترياق النافع على مسائل جمع الجوامع) للإمام أبي بكر بن شهاب، ومنظومة (مراقي السُّعود) للشريف عبد الله العلوي الشنقيطي، التي هي من نتون المنتهين في علوم الأصول وكان يقرأ عليه في المسجد النبوي الشريف في جلسة خاصة معه، حتى توفي الشيخ زيدان في المسجد النبوي وهو في حالة السجود في أثناء الصلاة، كما لازم الإشتغال على العلامة النحرير أحمدُّ ــ بتشديد الدال وضمها ــ ابن محمد حامد الحسني الشنقيطي أحد أئمة الوقت في علوم اللغة وأصول الدين، فقرأ عليه (شرح قطر الندى)، وبعض (شرح الألفية) لابن عقيل، و (إضاءة الدُّجنة) للإمام المقَّري في العقائد، و (السُّلم المُرونق) للإمام الأخضري، و (إتـمام الدراية لقرَّاء النقاية) للإمام السيوطي، و (المقصور و الممدود) و (لامية الأفعال) كلاهما لابن مالك والمجلد الأول من (مُغني اللبيب) لابن هشام، وكتابين في الصرف، و (الجوهر المكنون) في البلاغة. وكان الشيخ أحمدُّ المذكور يُثني على المترجَم بعلوّ الهمة والجدِّ في الطلب وكانت للمترجَم خلال هذه الفترة رحلات مباركة

إلى عدد من الأقطار الإسلامية للدعوة إلى الله، ولقاء العلماء والأولياء، فزار الشام وإندنوسيا واليمن وبعض دول الخليج العربي وعدة بقاع في إفريقيا.

حليته وأحواله:

وضع الله للمترجَم له القبول بين الخلق، ورزقه الهيبة في مظهره وطلعته، إذا رأيته رأيت رجلاً ربعةً في الطول، نحيلَ الجسم، أسمر اللون، ذا لحيةٍ عمَّها البياض وعلاها النور، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، ولا تكاد سبحتهُ تفارق يده، معتماً بعمامةٍ بيضاء، لا بساً الإزار والرداء على عادة السلف بحضرموت، وللمترجم ترتيبٌ خاصٌ في أورداه وأذكاره في اليوم والليلة، مع قيامه بأعباء التدريس، فتجده لا يفتأُ يذكر الله في قيامه بالليل الذي كان مواضباً عليه طيلة حياته فلم يُعرف عنه أنه تركه بل قائماً بالليل صائماً بالنهار، ثم خروجه لصلاة الفجر في الحرم النبوي فيبقى فيه إلى ما بعد الإشراق، ثم يتوجه الى الرباط لتدريس الطلبة، وبعد العصر يكون مجلس (الروحة) إلى المغرب، ويتابع التدريس إلى قبيل العشاء، ثم يتوجه لصلاة العشاء في الحرم النبوي وزيارة جده الأعظم صلى الله عليه وسلم التي لم يزل ملازماً لها صباحَ مساءَ مدة إقامته في طيبة الطيبة، لايقطعه عنها وعن تراتيبه اليومية من تدريس وذكر وغيرهما إلا سفر أو شدة مرض. وبعد العشاء يقيم الدروس والمجالس في أماكن متعددة على اختلاف الأيام والمواسم .
كل هذا مع دوامه على المطالعة والمذاكرة، والعناية بتوجيه الطلبة وتعليمهم وتربيتهم، ولقاء الزوار والوافدين، والسفر للدعوة والإرشاد. وله من الاحوال السنية وسيما العارفين ما يعلمه خواص محبيه نفعنا الله به والمسلمين به، آمين

أولاده والآخذون عنه:

للمترجم من الأولاد ثلاثة : محمد وهو الكبير من أولاده ــ وبه يُكنى ــ، عمر وهو أوسط أولاده، وأحمد وهو أصغر أولاده، وكلهم قد استفادو من والدهم علمياً وتربية ورعايـة.
أما الآخذون عنه : فانتـفع بالمترجَم خلق كثير من الطلبة والعامة، وأخذ عنه كثير من الدعاة وأهل العلم، حصل بهم النفع والإستفادة.

مؤلفاته: جمع المترجم له عدداً من التآليف النافعة المفيدة، في عدة فنون منها :

١/ (المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي)، وهو كتابنا هذا، وهو من أهم مؤلفاته وأنفَسِها (مطبوع) .
٢ / (الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية)، تفسيرٌ إشاريٌ لطيف جمع فيه من كلام السادة العلويين على مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يقع في مجلد واحد (مطبوع) .
٣/ (الفتوحات العلية في الخطب المنبرية)، وهي خُطبه أيام نيابته في ذلك عن الحبيب محمد الهدار في مدينة (البيضاء) وقد طبع الآن في أربعة أجزاء لطيفة.
٤ / (شرح حديث جبريل)، المسمى : (هداية الطالبين في بيان مهمات الدين)، شرح فيه حديث جبريل عليه السلام في معنى الإسلام والإيمان والإحسان، بحيث جعل كتابه هذا متنا مُـختصراً في العقائد والفقه والتصوف، (مطبوع).
٥ / (الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية)، في الرد على شُبه المخالفين بطريقة السؤال والجواب، وقد طُبع مرات كثيرة وكتب له الانتشار، وحصل به النفع التام للخواص والعوام .
٦ / (هداية الزائرين إلى أدعية الزيارة النبوية ومَشاهد الصالحين)، جمع فيه الأدعية السَّلفية التي تُقال عند الزيارة النبوية وزيارة الأموات، (مطبوع) .

٧ / (النجوم الزاهرة لسالك طريق الآخرة)، مجموعة من الأوراد والأذكار والأدعية البالغة الأهمية التي يحتاجها كل مسلم ومسلمة في عمل اليوم والليلة، من أدعية نبوية وسلفية، لقضاء الحوائج وتيسير الأرزاق وتفريج الكُرب، وهو (مطبوع) .
٨ / مجموع كبير من (الفتاوى الفقهية) يقوم على جمعها وترتيبها بعض نجباء تلاميذه .
٩ / (ثبَت أسانيده وشيوخه)، (مخطوط) .

ثناءُ العلماء عليه:

١- **وصفه المفكر الداعية إلى الله الحبيب السيد أبو بكر بن علي المشهور في ترجمته له في كتابه (قبسات النور) بـ** : (العالم الفقيه، حافظ المذهب، النحوي المِفَن المشارك في شتى العلوم، العارف بالله والدال عليه بمواعظه ورقائقه الصوفية، ذي الطلعة العلوية السلفية .. إلخ).

٢- **ووصفه العلامة المتكلم الحاثة المُسنِد الشيخ محمد نمر الخطيب (من علماء الشام)، في إجازته له بـ :** (صاحب الفضيلة، العلامة الذائق، الرباني الفائق).

٣- **وكتب علامة مكة ومحدثها الشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي الحضرمي (ت ـ ١٤١٠ هـ) على طُرة إجازته للمترجم)** : (إجازة من الدون إلى الأعلى) ــ وهذا من باب التواضع ــ وحلاه فيها بـ : (سيدي العالم الفاضل).

٤- **ووصفه العلامة الفقيه الدكتور محمد حسن هِيتو ــ أحد علماء الكويت ــ بـ :** (السيد النبيل الكامل، والعالم المتواضع العامل).

٥- **وفي إجازة السيد يوسف الرفاعي الكويتي وصفه له بـ :** (العلاَّمة العامل، الفقيه المُربي).

٦- **أما شيخه الإمام الكبير الداعي إلى الله والعارف بالله الحبيب محمد بن عبد الله الهدار، فحلاَّهُ بـ** : (السيد العلامة الداعي إلى الله، والشاب الناشىء في طاعة الله، السالك الناسك، المحبوب المخطوب، سيدي وذُخري، وعُمدتي وعُدتي).

٧- **ووصفه الإمام العلامة الحبيب القدوة السيد إبراهيم بن عقيل بـ :** (سليل الأكابر، وجامع المفاخر، زين الشمائل، وربيب الفضائل، الحبيب المحبوب، السيد السند زين بن إبراهيم ..).

٨- **وفي إجازة الإمام خليفة الأسلاف الحبيب القدوة القطب عبد القادر بن أحمد السقاف، وصفه بـ :** (السيد الأبر، الراغب فيما كان عليه أهله من كريم السِّير، العلامة زين بن إبراهيم). **وإليك نص الكتاب مسائل كثر حوبها النقاش والجدل:**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

الشيخ السيد زين آل سميط باعلوي الحسيني الشافعي:

الحمد لله الهادي الدليل، ونسأله الهداية إلى سواء السبيل، والحماية من الضلال والتضليل، وأن يصلي ويسلم على سيدنا ورسولنا محمد الداعي إلى كل خلق جميل ومقصد نبيل وعلي آله وأصحابه والتابعين له بإحسان بالغدو والأصيل، وبعد:

فهذه رسالة مختصرة وأجوبة مسطرة تتعلق بعقيدة الفرقة الناجين أهل السنة والجماعة الذين هم السواد الأعظم من المسلمين، وضعتها على صورة السؤال والجواب، ليسهل درسها على الطلاب المبتدئين، وطلاب الحق السائلين، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

(الفصل الأول) في التوسل

س١ - ما حكم التوسل بالأنبياء والأولياء؟

ج١- حكم التوسل والاستغاثة والاستعانة بهم في قضاء الحوائج الدنيوية والأخروية جائز شرعاً، بإجماع أهل السنة والجماعة، وهم السواد الأعظم، والجمهور من المسلمين، وإجماعهم حجة لعصمتهم من الخطأ([1]):

فقد أخرج أحمد والطبراني عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها)([2]).

وروى الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً: (لا يجمع الله أمتي على الضلالة أبداً... وورد: (ما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن)([3]).

س٢- ما معنى التوسل([4])؟

---

[1]) لأن الأمة بقيت مجمعة على ذلك سبعة قرون، ثم جاء في القرن السابع من خرق الاجماع، والإجماع لا ينسخ لا باجتهاد فرد ولا بإجماع بعده، ولذا نقول للمخالف: ائتنا بكلام العلماء قبل القرن السابع أو إجماعهم على صحة قولك والله أعلم.

[2]) أخرجه الحاكم في مستدركه ج١/ص٢٠٣/ح٤٠٠، والطبراني في معجمه الكبير ج١١/ص٤٤٩/ح١٢٢٧٤.

[3]) أخرجه الطيالسي في مسنده ج ١/ص ٣٣/ح ٢٤٦ وأحمد في مسنده ج١/ص٣٧٩/ح٣٦٠٠ والحاكم في مستدركه ج٣/ص٨٤/ح٤٤٦٥ والإمام أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ج١/ص٣٦٨/ح٥٤١ وسنن الدارمي ٤٢/١ وسنن الترمذي ٤٦٦/٤ برقم ٢١٦٧ ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٨٠/٢ برقم ٢١٧١

[4])**الفرق بين العبادة والتوسل:**

قال الزّجَاجُ: "العبادةُ في لغة العرب الطاعةُ مع الخضوع ."

وقال الأصبهاني: "العبادة هي غاية التذلّل ."

وقال السبكي: "العبادة هي غاية الخضوع ونهاية التذلل " نقله الزبيدي في تاج العروس.

وقال الأزهري في كتاب تهذيب اللغة "العبادة هي الطاعة مع الخضوع".

وقال أبو حيان الأندلسي: "العبادة هي التذلّل ."

وقال ابن السكيت: "العبادة هي التجريد ."

وقال الفيومي: "العبادة هي الانقياد والخضوع "

السجودُ هو أقوى مظاهرِ العبادةِ وقد سَجَدَ سعدٌ لرسول الله ﷺ حقيقةً من غيرِ أن يأذن له الرسولُ (رواه ابن حبان)سجودَ تحيةٍ (كسجودِ إخوة يوسفَ ليوسفَ عليه السلام) وسجودَ تعظيمٍ (التعظيمُ منه ما هو على معنى العبادةِ ومنه ما هو على معنى إظهارِ الطاعة والاحترام) والرسول ﷺ لم يكفِّرهُ إنما نهاهُ عن العودةِ إلى هذا لأنه حرامٌ شرعاً في شريعته، حتى لو كان لإظهار الطاعة والاحترام ...

أما نفاة التوسل فقالوا: بمجرد أن يقول الشخص: " يا رب بجاه محمد " فقد كفر مع العلم بأن المسلم لا يعتقد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفع ويضر بذاته، وإنما بإذن الله تعالى، بل من اعتقد بأن الرسول أو الولي أو الملائكة يضر وينفع بذاته فهو كافر بلا خلاف .

التوسّل هو: "طلبُ حصول منفعةٍ أو اندفاعِ مضرّةٍ من اللهِ بذكرِ اسمِ نبيّ أو وليّ إكراما للمتوسَل به."

الاستغاثةُ هي طلبُ الغوث عند الضيقِ والاستعانةُ أعمُّ وأشملُ.

والتوجهُ والتوسلُ والاستعانةُ بنفس المعنى.

ج٢- معناه: التبرك بذكر أحباء الله تعالى، لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم، فمعني التوسل

التوسلُ والتوجهُ والاستعانةُ مؤداها واحدٌ كما قال الحافِظُ السبكي، وهو من اللغويين كما قال السيوطي.
فالطلب في التوسل هو إلى الله سبحانه فالمتوسل يقول " اللهم بجاه محمد" ولا يقول يا محمد اخلق لي كذا أو فرج عني كذا .
و معنى قول المتوسل " يا محمد " كما قالها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اي ادركني يا رسول الله بدعائك الى الله"
وحقيقة التوسل هو التوسل بالأدنى إلى الأعلى، واعتراف المتوسل من بداية الأمر أن المتوسل به غير قادر على الفعل، وإنما يتوسل به إلى الأعلى، وحكمة التوسل هو إظهار فضل الله تعالى على بعض عباده المتوسل بهم إلى الله تعالى بأن فلاناً مقبول عند الله تعالى، وتلك حكمة الله تعالى في خلقه، لقوله تعالى: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) (سورة فصلت: ٣١)، فالآية بينت في الحياة الدنيا الممتدة حتى يوم القيامة، ولم تقل في حياتكم الدنيا، والله أعلم، وإذا كان يجوز إجارة الكافر وتبليغه مأمنه وأمانه، أفلا يكون المؤمن أولى بذلك منه: [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ] {التوبة:٦}) وقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح: (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) وقد ورد السنن الكبرى للنسائي - كتاب الزكاة - من سأل بالله - حديث: ٢٣١٩-عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من استعاذ بالله **فأعيذوه**، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله **فأجيروه**، ومن آتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه "، وفي سنن أبي داود - كتاب الصلاة - أبواب قيام الليل - باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل حديث: ١١٣٨: عن ربيعة بن كعب الأسلمي، يقول: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم آتيه بوضوئه وبحاجته، فقال: "سلني"، فقلت: مرافقتك في الجنة، قال: "أوَ غير ذلك؟، قلت: هو ذاك، قال: "فأعني على نفسك بكثرة السجود". ورواه أحمد في مسند المدنيين برقم: ١٦٢٥٩، وغيرهما، فهذا طلب صريح في جواز سؤال غير الله تعالى، وبطلب من الرسول ﷺ مباشرة، وننصح المخالف ألا يقع به اليهود والمشركين والمنافقين بحسد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون على ما آتاهم الله من فضله: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آَل إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلكاً عَظِيماً (٥٤) سورة النساء. والله أعلم.
قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله وبإسناده: قال الربيع بن سليمان: إن الشافعي رحمه الله خرج إلى مصر فقال لي: يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلمه إلى أبي عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ وئتني بالجواب، قال الربيع: فدخلت بغداد ومعي الكتاب، فصادفت أحمد بن حنبل في صلاة الصبح فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب وقلت له: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال لي أحمد: نظرت فيه ؟ فقلت: لا، فكسر الختم فقرأ وتغرغرت عيناه، فقلت له: أيش فيه يا أبا عبد الله ؟ فقال: يذكر فيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له: اكتب إلى أبا عبد الله فاقرأ عليه السلام وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة، قال الربيع: فقلت له: البشارة يا أبا عبد الله، فخلع أحد قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر وسلمته إلى الشافعي فقال: أيش الذي أعطاك ؟ فقلت: قميصه، فقال الشافعي: ليس نفجعك به ولكن بُله وادفع إليَّ الماء لأتبرك به).
قال شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي ت ٩٧٣ هـ: في حاشية الإيضاح (٤٩٩) والجوهر المنظم (٦١): " التوسل به صلى الله عليه وسلم حسن في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه ، في الدنيا والآخرة " انتهى

بهم: أن يتخذهم وسيلة أي واسطة إلى الله جل وعلا؛ في قضاء الحوائج، وحصول المطالب؛ لكونهم أقرب إلى الله منا، فهو يجيب دعاءهم، ويقبل شفاعتهم، ففي الحديث القدسي عن الله تعالى قال:
(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذ نه) رواه البخاري في صحيحه ([1]).

س٣- ما الدليل على جواز التوسل؟
ج٣- الدليل على ذلك أحاديث كثيرة صحيحة صريحة منها:
١- ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً أعمى جاء إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- فقال: يا رسول الله! أدع الله أن يكشف عن بصري فقال: (إن شئتَ دعوتُ؛ وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك).
قال: فادعه: فأمره - صلى الله عليه وآله وسلم- أن يتوضأ فيحسن وضوؤه ويدعو بهذا الدعاء:
(اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- نبي الرحمة، يا محمد! إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي. اللهم شفِّعه فيَّ). فذهب ثم رجع وقد كشف الله عن بصره.
وفي رواية البيهقي: فقام وقد أبصر([2]). قال العلماء: ففي هذا الحديث التوسل والنداء به - صلى الله عليه وآله وسلم-، وهذا الدعاء استعمله الصحابة والتابعون والسلف والخلف لقضاء حوائجهم. والله أعلم.([3]).

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٥/ص ٢٣٨٤/ح ٦١٣٧. وهذا الحديث هو مدار وعمدة أهل الله، فيؤدون الفرائض والسنن والنوافل، ويستمرون في ذكر الله تعالى، حتى يخلع الله عليهم تلك الصفات، وأول من تحلى بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتأمل: (إِنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (سورة الفتح: ١٠) والله أعلم.

[2]) أخرجه النسائي في سننه الكبرى ج ٦/ص ١٦٨/ح ١٠٤٩٤وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ج٢/ص٢٢٦/ح١٢١٩ والترمذي في سننه ج٥/ص٥٦٩/ح٣٥٧٨ وابن ماجه في سننه ج١/ص٤٤٢/ح١٣٨٥ والإمام أحمد في مسنده ج٤/ص١٣٨/ح١٧٢٧٩، والحاكم في مستدركه ج١/ص٤٥٨/ح١١٨٠، والطبراني في معجمه الكبير ج٩/ص٣١/ح٨٣١١

[3]) **أقوال المذاهب الأربعة في جواز التوسل:**
التوسل مشروع باتفاق جماهير أهل العلم، قال شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي: "ولم ينكر ذلك أحد من السلف ولا من الخلف". وعلى هذا المذاهب الأربعة،
وهذه بعض أقوالهم في جواز التوسل:
١-من أقوال الحنفية:
قال الإمام الكمال بن الهمام في شرح فتح القدير: "ويسأل الله تعالى حاجته متوسلاً إلى الله بحضرة نبيه عليه الصلاة والسلام، ثم يسأل النبي الشفاعة فيقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة، يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلماً على ملتك وسنتك."

وقال الآلوسي في جلاء العينين: "أنا لا أرى بأساً في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي عند الله تعالى حياً وميتاً."

٢-من أقوال المالكية:

قال شيخ الإسلام القاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى:

"أن المنصور أبا جعفر قال للإمام مالك: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعوا، أم أستقبل رسول الله؟ فقال: ولِمَ تصرفُ وجهكَ عنه، وهو وسيلتكَ ووسيلةَ أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما).

قال الشيخ محمد حسين المالكي في تهذيب كتاب الفروق: "قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم: رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه، وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب: ورواها ابن فهد بإسناد جيد، ورواها القاضي عياض في الشفاء بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادها وضّاع ولا كذاب، على أنها قد عضدت بجريان العمل وبالأحاديث الصحيحة الصريحة في جواز التوسل التي يعضد بعضها بعضاً."

وفي شرح الخرشي على خليل: "وأما التوسل ببعض مخلوقاته فجائز، وأما الإقسام على الله تعالى في الدعاء ببعض مخلوقاته كقوله بحق محمد اغفر لنا فخاص به."

٣-من أقوال الشافعية:

قال شيخ الإسلام محيي الدين النووي في المجموع في معرض آداب زيارته ونحوه في فتح الوهاب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني: "ثم يرجع إلى موقفه الأول قُبالة وجه رسول الله ويتوسل به في حق نفسه، ويستشفع به إلى ربه."

من أقوال الحنابلة:

وقال ابن تيمية في الرد على الأخنائي ص١٦٨:

"قال الإمام أحمد: وحول وجهك إلى القبلة وسل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه تُقْضَ من الله عز وجل."

وفي كتاب المغني لابن قدامة: "ثم تأتي القبر فتولي ظهرك القبلة، وتستقبل وسطه وتقول: اللهم إنك قلت وقولك الحق: {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما} وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بك إلى ربي."

وفي الفروع لابن مفلح: "ويجوز التوسل بصالح، وقيل: يستحب، قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروذي: إنه يتوسل بالنبي في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره، وجعلها شيخنا كمسألة اليمين به.".

وقال ابن تيمية **في التوسل والوسيلة ص ٩٨:**

(هذا الدعاء (أي الذي فيه توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم) ونحوه قد روي أنه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزي التوسل بالنبي (صلى الله عليه وسلم (في الدعاء). انتهى.

وقال في ص ٦٥: (والسؤال به (أي بالمخلوق) فهذا يجوزه طائفة من الناس ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف، وهو موجود في دعاء كثير من الناس). ثم ذكر ابن تيمية أثرا فيه التوسل بالنبي (صلى الله عليه وسلم (لفظه: (اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) تسليما. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك وربي يرحمني مما بي). وقال: فهذا الدعاء ونحوه روي أنه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزي التوسل بالنبي (صلى الله عليه وسلم (في الدعاء). انتهى.

استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال:
(اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا - صلى الله عليه وآله وسلم- فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)، قال: فيسقون([1]).
قال العلماء: هذا صريح في التوسل بالذوات الفاضلة فإن الناس جعلوا العباس رضي الله عنه وسيلتهم إلى الله تعالى فأنزل الغيث([2]).
س٤- هل يجوز التوسل بالأموات؟
ج٤- قال العلماء رحمهم الله: لا فرق في جواز التوسل بأحباب الله تعالى سواء كانوا في حياتهم الدنيوية أو بعد انتقالهم إلى الحياة البرزخية، فإن أهل البرزخ منهم في حضرة الله ومن توجه إليهم توجهوا إليه، أي في حصول مطلوبه.
س٥- ما الدليل على جواز التوسل بالأموات؟
ج٥- الدليل على ذلك ما ذكره ابن القيم في زاد المعاد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا إليك، فإني لم أخرج بطراً ولا أشَرَاً ولا رياء ولا سمعة، وإنما خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. إلا وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضي صلاته). ورواه أيضاً ابن ماجه([3]).
٢- وروى البيهقي وابن السني والحافظ أبو نعيم أيضاً كان من دعائه - صلى الله عليه وآله

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه ج ١/ص ٣٤٢/ح ٩٦٤، ج٣/ص١٣٦٠/ح٣٥٠٧، وفي قوله: (اللهم إنا كنا) فكلمة (كنا) تفيد الفترة الماضية من لحظة دعاء سيدنا عمر –رضي الله عنه- وحتى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مروراً بحياة سيدنا أبي بكر، و(عم نبيك) فكلمة (نبيك) تدل دلالة واضحة على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم والله أعلم.

[2]) روى الزبير بن بكَّار - في كتابه "الأنساب" - أن عمر بن الخطاب لَمَّا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، قال العباس: "اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنب، ولم يُكشَف إلا بتوبة، وقد توجَّه القومُ بي إليك؛ **لمكاني من نبيك،** وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقِنا الغيث"؛ فأرخت السماءُ مثل الجبال، حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس"
وجاء في تهذيب الكمال للحافظ المزي رحمه الله (١٣ / ١٨٦ برقم ٢٨٨٢، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف) في ترجمة صفوان بن سليم المدني، ما نصه: (وقال أبو عبد الله الأردبيلي: سمعت أبا بكر بن أبي الخصيب يقول: ذُكر صفوان بن سليم عند أحمد بن حنبل فقال: هذا رجل يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره) ا.هـ. و**في سنن الدارمي- باب ما أكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد- حديث:٩٧ عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله ، قال قُحِطَ أَهلُ المدينةِ قَحطًا شديدًا فشَكَوا إلى عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها فقالت انظُروا قبر النَّبي صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فاجعلوا منهُ كُوًى إلى السَّماءِ حتَّى لا يَكونَ بينَه وبينَ السَّماءِ سقفٌ ففعلوا فمُطِروا مَطرًا حتَّى نبتَ العشبُ وسمِنتِ الإبلُ حتَّى تفتَّقتْ منَ الشَّحمِ فسمِّيَ عامَ الفتقِ).**وإسناده حسن كما ذكر الدارمي في المقدمة، وكما ذكره ابن حجر في تخريج المشكاة ٣٦٢/٥ وكما هو حال سند الحديث فهم مابين رتية الصدوق والثقة، ولا عبرة بتضعيف الألباني لأنه يخالف عقيدته في التوسل كما في كتابه التوسل.

[3]) أخرجه ابن ماجه ٢٥٦/١ والإمام أحمد ٢١/٣ وابن شيبة في مصنفه ٢٥/٦.

وسلم- عند خروجه للصلاة: (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك..) ([1]) الخ.
قال العلماء: فهذا توسل صريح بكل عبد مؤمن حياً أو ميتاً وعلم - صلى الله عليه وآله وسلم- أصحابه هذا الدعاء وأمرهم بالإتيان به وما من أحد من السلف (الصالح) والخلف إلا كان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه للصلاة.
٣- وثبت أيضاً أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- لما توفيت والدة سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: (اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي). وهو حديث طويل رواه ابن حبان والحاكم والطبراني وصححوه([2]).
وانظر قوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (والأنبياء من قبلي) فإن ذلك صريح في جواز التوسل بالأموات فافهم ذلك تسلم من المهالك.

(تنبيه)
قال العلماء نفع الله بهم: وأما توسل سيدنا عمر بالعباس رضي الله عنهما فليس فيه دليل على عدم جواز التوسل بغير الأحياء، وإنما توسل عمر بالعباس دون النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- ليبين للناس أن التوسل بغير النبي جائز لا حرج فيه، وإنما خص العباس من سائر الصحابة لإظهار شرف أهل بيت الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- والدليل على ذلك أنه قد ثبت توسل الصحابة به - صلى الله عليه وآله وسلم- بعد وفاته، من ذلك: ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح أن الناس قحطوا في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه إلى قبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- وقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا([3])، فأتاه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- في المنام وقال: (ائت عمر بن الخطاب وأقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون)، فأتاه وأخبره فبكى عمر رضي الله عنه وسُقوا. أ هـ ([4]).
ومحل الاستدلال فعل بلال وهو صحابي ولم ينكر عليه عمر ذلك ولا غيره من أصحاب رسول

---

[1]) قال الإمام النووي عن رواية ابن السني في كتابه الأذكار ص ٧٨: حديث ضعيف أحد رواته الوازع بن نافع العقيلي وهو متفق على ضعفه وأنه منكر الحديث.
[2]) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ج ٢٤/ص ٣٥١/ح ٨٧١ وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ج١/ص٦٨/ح١٨٩، وفي رواية ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب وكانت قد ربت النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال: (رحمك الله يا أمي بعد أمي) إلى أن قال لما أدخلها في اللحد: (اغفر لأمي فاطمة بت أسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين).
[3]) انظر دليل فعل الصحابة في طلبهم وتحدثهم ومناجاتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تنفيذاً لأمر الله تعالى: (جاؤوك) (سألك) انتبه لكاف الخطاب فهي مستمرة إلى يوم القيامة والله أعلم.
[4]) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٦/ص ٣٥٦/ح ٣٢٠٠٢ وعبد الرزاق في مصنفه ج٦/ص٣٥٦/ح٣٢٠٠٢، وأخرجه الحاكم في مستدركه ج٣/ص ٥١٨ / ح ٥٩٢٩.

الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم- رضي الله عنهم. ([1]).

[1]) والخلاصة: ذهب جمهور الفقهاء ـ المالكيّة والشّافعيّة ومتأخّرو الحنفيّة وهو المذهب عند الحنابلة ـ إلى جواز هذا النّوع من التّوسّل سواء في حياة النّبيّ صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته .

قال القسطلاّنيّ: وقد روي أنّ مالكا لمّا سأله أبو جعفر المنصور العبّاسيّ ـ ثاني خلفاء بني العبّاس ـ يا أبا عبد الله أأستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو ؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفّعه الله، وقد روى هذه القصّة أبو الحسن عليّ بن فهر في كتابه " فضائل مالك " بإسناد لا بأس به وأخرجها القاضي عياض في الشّفاء من طريقه عن شيوخ
عدّة من ثقات مشايخه.
وقال النّوويّ في بيان آداب زيارة قبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم: ثمّ يرجع الزّائر إلى موقف قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتوسّل به ويستشفع به إلى ربّه، ومن أحسن ما يقول (الزّائر) ما حكاه الماورديّ والقاضي أبو الطّيّب وسائر أصحابنا عن العتبيّ مستحسنين له قال: كنت جالسا عند قبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم فجاءه أعرابيّ فقال: السّلام عليك يا رسول الله . سمعت الله تعالى يقول: (وَلو أَنَّهُم إذْ ظَلَمُوا أنْفسَهم جَاءوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لهم الرَّسُولُ لوَجدُوا اللهَ تَوَّابَاً رَحِيمَاً) وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعا بك إلى ربّي . ثمّ أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه وطاب من طيبهنّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(الفصل الثاني) في الاستغاثة (١)

[١]) الضار والنافع حقيقة هو الله تعالى، ولكن جعل الله تعالى أسباباً للوصول للنفع، والابتعاد عن الضرر، وهو معنى التوكل على الله تعالى، أي الأخذ بالأسباب التي سخرها الله تعالى للعباد، فإذا وضع الله تعالى فضله عند رسله أو أولياءه، وطلب من عباده الذهاب إليهم لأخذ فضله منهم، فيكون فعل العبد ذلك أخذاً بالأسباب، وحتى نفهم معنى الاستغاثة إليك بيانه:

قال محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الوفاة: ٧٤٥هـ في تفسيره البحر المحيط ج ٤ ص ٤٥٢: (الاستغاثة: طلب الغوث والنصر، غوث الرجل قال: واغوثاه، والاسم: الغوث والغواث والغوَّاث، وقيل الاستغاثة: طلب سد الخلة وقت الحاجة، وقيل الاستجارة)، وقال الله تعالى: (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) (سورة يوسف: ٤٩). فذكر (يُغَاثُ) بصيغة المبني للمجهول: فإما غيث بالمطر، وإما غوث بقضاء الحاجة كما ذكر في التفاسير، والعام فيه الخير، والسنة فيها الشدة والله أعلم.

وقوله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (سورة الأنفال: ٩). قال محمد الطاهر بن عاشور الوفاة: ١٢٨٤ هـ في تفسيره التحرير والتنوير للآية ج ٢٧٤/٩: جاء في (السيرة) أن المسلمين لما نزلوا ببدر ورأوا كثرة المشركين استغاثوا الله تعالى فتكون الاستغاثة في جميع الجيش، والضمير شاملاً لهم. ثم تابع ابن عاشور فقال:

والاستغاثة: طلب الغوث، وهو الإعانة على رفع الشدة والمشقة، ولما كانوا يومئذ في شدة وَدَعَوا بطلب النصر على العدو القوي كان دعاؤهم استغاثة). انتهى.

وقال الله تعالى: (وَالذِي قَال لِوَالدَيْهِ أُفٍّ لكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلتِ القُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) (سورة الأحقاف: ١٧)

وقال الله تعالى: (وَدَخَل المَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلى الذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَال هَذَا مِنْ عَمَل الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) (القصص:١٥)،

فأثبت القرآن الاستغاثة بالله تعالى، وبالبشر (بسيدنا موسى عليه السلام)، فهو من الألفاظ المشتركة، لذا ورد في الخبر في كتاب تاريخ المدينة لابن شبة - أمر الرمادة وما فعل عمر رضي الله عنه في ذلك العام - حديث: ١١٥٨: أن عمر رضي الله عنه كتب عام الرمادة إلى يزيد بن أبي سفيان، وإلى أبي موسى الأشعري: واغوثاه، هلكت العرب. فأما يزيد فكتب: لبيَّت لبيَّت لبيَّت يا أمير المؤمنين!، أتاك الغوث، بعثت إليك عيرا أولها بالمدينة وآخرها بالشام. وأما أبو موسى فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، إن الخلق لا يسعهم إلا الخالق، فلو أنك كتبت في الأمصار وواعدتهم يوماً، فأمرتهم فخرجوا، فاستسقوا ودعوا، فلما أتاه كتابه قال: والله ما أرى أبا موسى إلا قد أشار برأي، فكتب، فخرج الناس فاستسقوا فسقوا "

وقال تعالى في إثبات استجارة الكافر بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فاستجارة المؤمن به أولى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ) (التوبة:٦). وفي كتاب السنة لأبي بكر بن الخلال - في توقف أبي عبد الله في المارقة حديث: ١٢٤: أخبرني الحسن بن الهيثم، أن محمد بن موسى بن مشيش، حدثهم، أنه سأل أبا عبد الله: إذا استغاث من العدو من مثل بابك ونحوه إلى أهل هذه المدينة، يجب على أهل هذه المدينة أن يخرجوا ؟ قال: " يجب على من هو في القرب أول فأول، قيل: فإن لم يغيثوا؟ قال: إذاً ضيعوا ما عليهم " فتلك أدلة على اشتراك لفظ الاستغاثة.

قال الحافظ التقي السبكي في شفاء السقام ما نصه :(وأقول ان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز في كل حال: قبل خلقه، وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا، وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة. وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يتوسل به بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به أو بجاهه أو ببركته فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبر صحيح.
أما الحالة الأولى قبل خلقه فيدل على ذلك آثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته وهو ما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين أو أحدهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما اعترف آدم عليه السلام بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟، قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: (لا اله إلا الله محمد رسول الله) فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ورواه البيهقي أيضًا في دلائل النبوة وقال: تفرد به عبد الرحمن، وذكره الطبراني وزاد فيه (وهو آخر الأنبياء من ذريتك).
وذكر الحاكم مع هذا الحديث أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أوحى الله الى عيسى عليه السلام، يا عيسى آمن بمحمد، وَأَمُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولاه ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه (لا اله إلا الله فسكن)، قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخرجاه . انتهى ما قاله الحاكم.
ثم قال العلامة السبكي: والحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الإسناد ولا بلغه أن الحاكم صححه، فقال ابن تيمية -: أما ما ذكره في قصة آدم من توسله فليس له أصل، ولا نقله أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد يصلح للاعتماد عليه، ولا للاعتبار، ولا للاستشهاد، ثم ادعى ابن تيمية أنه كذب وأطال الكلام في ذلك جدًا بما **لا حاصل تحته بالوهم، ولو بلغه أن الحاكم صححه لما قال ذلك، أو لتعرض للجواب عنه،** وكأني به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث، ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، وأيضًا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف إلى الحد الذي ادعاه، وكيف يحل لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع وقد ورد فيه هذا الحديث، وسنزيد هذا المعنى صحة وتثبيتًا بعد استيفاء الأقسام).
ثم قال السبكي: (وأما ما ورد من توسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته، وتصحيح الحاكم له، ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل أو الاستعانة أو التشفع أو التجوه، والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه متوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه ومستغيث به - والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده، فالباء ههنا للسببية وقد ترد للتعددية كما تقول: من استغاث بك فأغثه، ومستشفع به، ومتجوه، فإن التجوّه والتوجه راجعان إلى معنى واحد).
وفي استفتاح اليهود بالرسول ﷺ قبل ولادته، دليل أكيد على ذلك لقوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلى الذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلعْنَةُ اللهِ عَلى الكَافِرِينَ) (سورة البقرة: ٨٩) وفي صحيح البخاري: يستفتحون: يستنصرون، وقال ابن جرير في تفسيره: ومعنى الاستفتاح: الاستنصار، يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه ؛ أي من قبل أن يبعث، وفي مستدرك الحاكم وكتاب الشريعة للآجري أنهم كانوا يقولون: اللهم بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أنك تخرجه إلا نصرتنا عليهم ، فأجابهم الله عز وجل فنصر اليهود على العرب، والله أعلم.

س١ــ ما معنى الاستغاثة؟

ج١ـ الاستغاثة هي طلب العبد الإغاثة والمعونة ممن يسعفه ويدفع عنه عند الوقوع في شدة ونحوها.

س٢ـ هل يجوز طلب الاستغاثة من غير الله؟

ج٢ـ نعم يجوز طلبها من غيره تعالى باعتبار أنه سبب وواسطة فإن الإغاثة وإن كانت هي من الله عز وجل على الحقيقة، فلا ينافي أن الله تعالى جعل لذلك أسباباً ووسائط أعدهم لذلك والدليل على ذلك:

ـ قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم-: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه). رواه مسلم([1]).

ـ وقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم- في حقوق الطريق: (وأن تغيثوا الملهوف، وتهدوا الضال). رواه أبو داود ([2]).

فنسب الإغاثة إلى العبد، وأضافها إليه، وندب العباد أن يعين بعضهم بعضاً.

س٣ـ ما الدليل على مشروعية الاستغاثة؟

ج٣ـ لذلك أدلة كثيرة منها: ـ ما رواه البخاري في كتاب الزكاة أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العَرَقُ نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم- الحديث ([3]).

ـ فقد أجمع أهل الموقف كلهم على جواز الاستغاثة بالأنبياء عليهم السلام وذلك بإلهام من الله تعالى لهم وفي ذلك أدل دليل على ندب التوسل والاستغاثة بهم في الدنيا والآخرة.([4]).

روى البُخاري الذي رَوى في كِتابِ "الأَدَبِ المُفرَد" في – باب ما يَقولُ الرجلُ إذا خَدِرَتْ رِجْلُه – قال: "خَدِرَتْ رِجْلُ ابنِ عُمرَ (يَعني تَعَطَّلَتْ عنِ الحَرَكَة أصابه شبه فالج) فَقال لهُ رَجُلٌ: اذْكُرْ أحَبَّ النَّاسِ إليكَ فَقال: "يا مُحَمَّد". فَتَعافى فَوراً.

و مَن يُكَفِّرُ الذي يَقول: "يا مُحَمَّد" يَكونُ قَد كَفَّرَ أبا بَكرٍ الصدّيق الذي أَرسل جَيشاً لقتالِ المُرتَدِّينَ بعدَ وفاةِ الرَّسول صَلى الله عليه وسَلم وعلى رأسِهِم خالدُ بنُ الوليد وفيهِم عليّ بنُ ابي طالب وغيرهما مِنَ الصحابة وكانَ شعارُهم في المَعركة: "يا مُحَمَّداه يا مُحَمَّداه يا مُحَمَّداه".

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص١٩٩٧/ح٢٥٨٠، ج٤/ص٢٠٧٤/ح٢٦٩٩، والبخاري في صحيحه ج٢/ص٨٦٣/ح٢٣١٠، ج٦/ص٢٥٥٠/ح٦٥٥١.

[2]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٦٩٩/ح١٠٠٨ وأبو داود في سننه ٢٥٦/٤ ح/٤٨١، والنسائي في سننه ج٥/ص٦٥/ح٢٥٣٨، وغيرهم.

[3]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٧٢٠/ح١٠٤٠، والبخاري في صحيحه ج٢/ ص٥٣٧/ ح١٤٠٥. والنسائي في سننه ج٥/ص٩٤/ح٢٥٨٥، ١٦. وغيرهم.

[4]) أخرج البخاري ١١١٨/٣ ومسلم ١٣٩٦/٣ في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: (لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس لها حمحمة يقول: يا رسول الله أغثني!، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير لها رغاء يقول يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثني!، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق!، فيقول: يا رسول الله أغثني!، فأقول: لا أملك لك شيئا قد بلغتك).

وفي صحيح البخاري كتاب الأنبياء/باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً: حديث سيدنا إبراهيم وهاجر وإسماعيل فبعد أن سعت بين الصفا والمرة سبعاً قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فذلك سعي

- ومن الأدلة على ذلك أيضاً ما رواه الطبراني أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (إذا ضل أحدكم -أي عن الطريق- أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني).

- وفي رواية (أعينوني فإن لله عباداً لا ترونهم) ([1]). فهذا الحديث صريح في جواز الاستغاثة والنداء بالغائبين من الأحياء والأموات والله أعلم.

(خاتمة)

قال السيد الإمام أحمد بن زيني دحلان رحمه الله:

(والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة جواز التوسل والاستغاثة بالأحياء والأموات لأنا لا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضراً إلا لله وحده لا شريك له، والأنبياء لا تأثير لهم في شيء، وإنما يتبرك بهم ويستغاث بمقامهم لكونهم أحباء الله تعالى. والذين يفرقون بين الأحياء والأموات هم الذين يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات([2]) ونحن نقول الله خالق كل شيء: (والله خلقكم وما تعلمون).اهـ من كتابه (خلاصة الكلام)([3]).

(الفصل الثالث) (نفع الأموات للأحياء)

س١- هل تحصل لنا نفاعة من الأموات في الدنيا أم لا؟

ج١- نعم الميت ينفع الحي فقد ثبت أنهم يدعون للأحياء ويشفعون لهم. قال سيدنا الشيخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ونفعنا به: إن الأموات أكثر نفعا للأحياء منهم لهم؛ لأن الأحياء مشغولون عنهم بهمِّ الرزق والأموات قد تجردوا عنه، ولا هَمَّ لهم إلا فيما

الناس بينهما) فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، الحديث.

[1]) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١٧/١٧ ح/٢٩٠ (إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد أحدكم عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله **أغيثوني يا عباد الله أغيثوني** فإن لله عبادا لا نراهم)، وقد جرب ذلك] فانظر لقول الحافظ الطبراني الذي يحفظ مليون حديث: (وقد جرب ذلك)!!! إلا أن يكون الإمام الطبراني الحافظ لا يفهم السنة، ويحتاج لتصحيح عقيدته، ومحاكمته على قوله؛ برسالة جامعية، كما يحصل محاكمة علماء الأمة حالياً من بعض الجامعات الإسلامية، التي نصبت نفسها ومنهجها لذلك؟!!!.وإلى الله المشتكى..

ومن أحاديث الاستغاثة: (أفضل الصدقة الماء ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) أخرجه أبو يعلى في مسنده ج ٥/ص ٧٧/ح ٢٦٧٣ أخرجه أبي داود في سننه ج٢/ص١٢٩/ح١٦٧٩، ج٢/ص١٣٠/ح١٦٨١.

[2]) التفرقة بين الأحياء والأموات هو بالنسبة إلينا، أما بالنسبة لله تعالى فكلهم عنده سواء وعبيد، لكل منهم مقام معلوم عند الله تعالى، (وَمَا مِنَّا إِلا لهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) (سورة الصافات: ١٦٤)، (إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) (سورة الدخان: ٥١)، وإن عقيدة المسلم بالموت هي الانتقال إلى الحياة البرزخية، وليس إلى الفناء والعدم، كعقيدة الكفار: (كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ) (الممتحنة:١٣)، وانظر إلى حادثة الإسراء والمعراج فهي تجسد الحياة البرزخية، وطريقة تعامل الأحياء ولقائهم بالأموات والتحدث معهم. والله أعلم.

٣) (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام الي وقتنا هذا بالتمام) لزيني دحلان رحمه الله.

قدموه من الأعمال الصالحة لا تعلق لهم إلا بذلك كالملائكة([1]).

س٢- ما الدليل على حصول النفع للأحياء من الأموات؟

ج٢- الدليل على ذلك:

- ما رواه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا)([2]).

- وروى البزار بإسناد صحيح عن ابن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم-: (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم؛ تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم)([3]).

- قال العلماء: وأي منفعة أعظم من استغفاره - صلى الله عليه وآله وسلم- حين يعرض عليه عمل المسيء من أمته.

قال بعض العلماء: وأدل دليل على أن الميت ينفع الحي أيضا ما وقع لسيدنا الرسول-صلى الله عليه وآله وسلم- ليلة أسري به حين فرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة فأشار عليه سيدنا موسى عليه السلام بأن يراجع ربه ويسأله التخفيف كما ورد في الصحيح([4]).

فسيدنا موسى قد انتقل إلى الرفيق الأعلى وقتئذ، ونحن وسائر الأمة المحمدية إلى يوم القيامة في بركته عليه السلام، وقد وقع عنهم التخفيف بواسطته وتلك من أعظم المنافع.

س٣- هل الأنبياء أحياء في قبورهم؟

ج٣- نعم فقد ثبت أنهم يحجون ويصلون في قبورهم، قال العلماء: قد تحصل الأعمال من

---

[1]) فما داموا في رضوان الله عز وجل فإنهم يدعون لنا ويستغفرون لنا مع الملائكة الكرام الذين يستغفرون لمن في الأرض كما أخبر الله تعالى (.. وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لمَنْ فِي الأَرْضِ ..) (الشورى:٥) والصالحون أحياء عند ربهم يرزقون (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (قّ:٣٥).

[2]) أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٣/ص ١٦٤/ح ١٢٧٠٦ والطيالسي في مسنده ج١/ص٢٤٨/ح١٧٩٤.وأوردهما ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ ..) (التوبة:١٠٥)، وضعفه الألباني، لكن له عدة طرق فيرتقي لحسن لغيره، وقام أحدهم باختصار تفسير ابن كثير وحذف رواية الحديثين الشريفين!!! فأين التمسك بالسنة!!!، وأين الأمانة العلمية!.

[3]) قال الألباني: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . باب في وداعه صلى الله عليه وسلم، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٣٤٤٩

[4]) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣/ص ١٤١٠/ح ٣٦٧٤، ج١/ص١٣٧/ح٣٤٢. ورسولنا محمد شاهد سيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام في ليلة الإسراء في ثلاثة مواطن: ١-في قبره قائماً يصلي، ٢- وصلى به إماماً في المسجد الأقصى، ٣- والتقاه في السماء السادسة، وهذا دليل على الحياة البرزخية الخاصة، ودليل على تجول الروح في عالم الأرض والسماوات والعرش، فلماذا الإنكار على حركة الروح وتأثيرها على الأحياء؟!. ونحذر المخالف أن يعتقد كاعتقاد الكفار الذين أخبرنا الله عنهم بقوله: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ) (الممتحنة:١٣) كما أن نفع الميت للحي في مأكله فكل ما نأكله هو ميت لتتغذى به أجسامنا، فيمكن للروح أن تستفيد من أحياء البرزخ والله أعلم.

غير تكليف على سبيل التلذذ بها فلا ينافي ذلك كون الآخرة ليست بدار عمل([1]).

س٤- ما الدليل على حياتهم؟

ج٤- ورد في صحيح مسلم عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- (أتيت ليلة أسري بي على موسى قائما يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر)([2]).

وروى البيهقي وأبو يعلى عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)([3]) قال المناوي هو حديث صحيح.

قال العلماء: وقد نص الله تعالى في القرآن على حياة الشهداء في قوله: (وَلا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [سورة آل عمران: ١٦٩] فالأنبياء والصديقون من باب أولى لأنهم أرفع درجة منهم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله وأبي وأضع ثوبي، وأقول: إنما زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياء من عمر. رواه الإمام أحمد([4]).

وهذا يدل أن سيدتنا عائشة رضي الله عنها لا تشك أن سيدنا عمر رضي الله عنه يراها ولهذا تحفظت بالتستر إذا أرادت الدخول عليه بعد دفنه في بيتها.

(الفصل الرابع) التبرك

س١- هل يجوز التبرك بآثار الصالحين؟

ج١- نعم يجوز ذلك بل يستحب باتفاق علماء الإسلام.

س٢- ما الدليل على ذلك؟

ج٢- لذلك أدلة كثيرة منها([5]): - ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت

---

[1]) لقوله تعالى: (لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ ..) (النساء:١٧٢) فالمسيح الآن منتقل وهو يعبد الله تعالى، ولقوله تعالى: (إِنَّ الذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلهُ يَسْجُدُونَ) (لأعراف:٢٠٦) فالذين عند الله من الملائكة والأنبياء والرسل والأولياء والصالحين والشهداء والصديقين: لا يستكبرون عن عبادة الله، وتسبيحه، والسجود له، فهم مستمرون في العبادة بدون استنكاف منهم عن عبادته. والله أعلم.

[2]) أخرجه النسائي في سننه الكبرى ج ١/ص ٤١٩/ح ١٣٢٨ ج٣/ص٢١٥/ح١٦٣١، والإمام أحمد في مسنده ج٣/ص١٤٨/ح١٢٥٢ والنسائي في سننه الكبرى ج١/ص٤١٩/ح١٣٢٨، وعبد بن حميد في مسنده ج١/ص٣٦٢/ح١٢٠٥.

[3]) أخرجه أبو يعلى في مسنده ١٤٧/٦ ح / ٣٤٢٥.

[4]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٦/ص ٢٠٢/ح ٢٥٧٠١. والحاكم في مستدركه ج٣/ ص٦٤/ ح٤٤٠٢،، ج٤/ص٨/ح٦٧٢١

[5]) إننا نؤمن بالآيات القرآنية التي تحدثت عن وجود واستمرار ومدد البركة التي خصها الله تعالى بالرسل وببعض الأراضي والأزمنة: (إِنَّ أَوَّل بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ للذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً للعَالمِينَ) (آل عمران:٩٦)، (وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً) (مريم:٣١) وفي قوله (أينما كنت) دليل وجود بركة لأحياء البرزخ (وَقُل رَبِّ أَنْزِلنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ المُنْزِلينَ) (المؤمنون:٢٩)(وَنَزَّلنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ) (قّ:٩)(وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا التِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلى بَنِي إِسْرائِيل بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) (لأعراف:١٣٧)(سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الذِي بَارَكْنَا حَوْلهُ لنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (الإسراء:١)(وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً

رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل([1]).
- فكان الصحابة رضي الله عنهم يحتفظون بشعره - صلى الله عليه وآله وسلم- للتبرك والاستشفاء، وقد ثبت أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يضع في قلنسوته من شعرات النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها يبحث عنها حتى أنكر عليه بعض الصحابة من كثرة من قتل بسببها من الأعداء! فقال خالد: لم أفعل ذلك بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره - صلى الله عليه وآله وسلم- لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين([2]).
- وفي صحيح البخاري عن أبي جحيفة قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- وهو في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- والناس يبتدرون الوضوء؛ فمن أصاب منه شيئاً تمسح به، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل صاحبه؛ يعني للبركة والاستشفاء([3]).
- وفي مسند الإمام أحمد عن جعفر بن محمد قال: (كان الماء يستنقع في جفون النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- حين غسلوه بعد موته فكان علي رضي الله عنه يحسوه)، أي يحسو ذلك من الماء من بركاته - صلى الله عليه وآله وسلم)([4]).
- وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنه أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- يلبسها فنحن نغسلها للمرضي يستشفى بها.([5]).

(الفصل الخامس) في زيارة القبور

س١- ما حكم زيارة قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم؟
ج١- زيارة قبورهم قربة مستحبة وكذا الرحلة إليها قال العلماء رحمهم الله، كانت زيارة

إِلى الأَرْضِ التِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلعَالمِينَ) (الأنبياء:٧١)(وَلسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الأَرْضِ التِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُل شَيْءٍ عَالمِينَ) (الأنبياء:٨١)(وَجَعَلنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى التِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ) (سبأ:١٨)(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالمٌ لنَفْسِهِ مُبِينٌ) (الصافات:١١٣) ومن الأزمنة شهر رمضان ويوم الجمعة وعشر ذي الحجة ووقت السحر وغيرها، (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْل البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (هود:٧٣)
وفي قعود التشهد في الصلاة نقول: (وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم) وكذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم تتنزل بها البركات.

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص١٨١٢/ح٢٣٢٥ وابن حنبل في مسنده ج٣/ص١٣٣/ ح١٢٣٨٦، ج٣/ص١٣٧/ح١٢٤٢٣، والبيهقي في سننه الكبرى ج٧/ص٦٨/ح١٣١٨٩.
[2]) أخرجه الحاكم في مستدركه ج٣/ص٣٣٩/ح٥٢٩٩ والطبراني في معجمه الكبير ج٤/ ص١٠٥/ ح٣٨٠٤
[3]) أخرجه البخاري في صحيحه ج١/ص١٤٨/ح٣٦٩، ج٣/ص١٣٠٧/ح٣٣٧٣.
[4]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/٢٦٧ ح/٢٤٠٣
[5]) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٦/ص ٣٤٧/ح ٢٦٩٨٧، ج٦/ص٣٥٣/ ح٢٧٠٢٧ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ج١/ص١٢٨/ح٣٤٨، والطبراني في معجمه الكبير ج٢٤/ص٩٩/ح٢٦٤ والنسائي في سننه الكبرى ج٥/ص٤٧٣/ح٩٦١٩.

القبور منهياً عنها في صدر الإسلام ثم نسخ ذلك بقوله وفعله - صلى الله عليه وآله وسلم).

س٢- ما الدليل على مشروعية الزيارة؟

ج٢- الدليل على ذلك :

- ما رواه مسلم في صحيحه أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)([١]).

- وفي رواية للبيهقي: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها ترقق القلوب وتدمع العين وتذكر الآخرة).

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد). رواه مسلم([٢]).

س٣- ما حكم زيارة القبور للنساء؟

ج٣- ذكر العلماء رحمهم الله تعالى: أن زيارة القبور تسن للرجال وتكره للنساء إلا إذا كان للتبرك كزيارة الأنبياء والأولياء والعلماء فإنها تسن لهن أيضاً كالرجال.

وقال بعضهم: إن زيارة القبور تباح للنساء مطلقاً: - لما رواه البخاري ومسلم أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- رأى امرأة بمقبرة تبكي على قبر ابنها، فأمرها بالصبر، ولم ينكر عليها([٣]).

- وروى مسلم أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- علم سيدتنا عائشة رضي الله عنها الدعاء في زيارة القبور لما قالت له: كيف أقول لهم؟ فقال: (قولي: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)([٤]).

س٤- ما معنى قوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (لعن الله زوارات القبور)([٥])؟

ج٤- قال العلماء: هذا الحديث محمول على ما إذا كانت زيارتهن للتعديد والبكاء والنياحة على ما جرت به عادتهن، فإن مثل هذه الزيارة حرام بخلاف ما إذا سلمت من ذلك.

س٥- ما معنى قوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...الحديث؟

ج٥- قال أهل العلم: معنى الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد لفضيلته إلا إلى الثلاثة المساجد التي تضاعف فيها الصلاة، وإلا لزم أن لا تشد الرحال إلى عرفات ومنى،

---

[١]) أخرجه البخاري في صحيحه ج٥/ص٢٠٦٨/ح٥١٠٧، ج٥/ص٢٠٧٣/ح٥١٢٢، وغيره. وانظر ودقق في كلمة (القبور) ولم يقل (المقابر)، ليدل الحديث على زيارة قبور خاصة بعينها أيضاً من باب خفي فافهم. والله أعلم.

[٢]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٦٦٩/ح٩٧٤، ج٢/ص٦٧١/ح٩٧٤، ج٢/ص٦٧١/ح٩٧٥. والنسائي في سننه ج٤/ص٩٣/ح٢٠٣٧،

[٣]) أخرجه البخاري في صحيحه ج١/ص٤٢٢/ح١١٩٤، ومسلم في صحيحه ج٢/ص٦٣٧/ح٩٢٦، والنسائي في سننه ج٤/ص٢٢/ح١٨٦٩. وغيرهم.

[٤]) أخرجه النسائي في سننه ج٤/ص٩٣/ح٢٠٣٧، ج٧/ص٧٣/ح٣٩٦٣، وابن حبان في صحيحه ج١٦/ص٤٧/ح٧١١٠.

[٥]) أخرجه الترمذي في سننه ج٣/ص٣٧٢/ح١٠٥٦. والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٢/ص٣٣٧/ح٨٤٣٠، ج٢/ص٣٣٧/ح٨٤٣٣. والطبراني في معجمه الكبير ج٤/ص٤٢/ ح٣٥٩١، ج٤/ص٤٢/ح٣٥٩٢.

وزيارة الوالدين والأرحام، ولطلب العلم والتجارة والجهاد وهذا لا يقول به أحد من المسلمين([1]).

(الفصل السادس) (سماع الأموات)

س١- هل الأموات يشعرون ويسمعون ما يقال عندهم([2])؟

ج١- نعم، ولهذا شرع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- زيارة الأموات والتسليم عليهم بصيغة الخطاب وكثيراً ما كان - صلى الله عليه وآله وسلم- يزور أهل البقيع ويسلم عليهم وحاشاه - صلى الله عليه وآله وسلم- أن يسلم على قوم لا يسمعون ولا يعقلون.

س٢- ما الدليل على ذلك؟

ج٢- الدليل:

- ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (ما من رجل يزور قبر أخيه؛ ويجلس عنده إلا أستأنس به؛ ورد

---

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص١٠١٥/ح١٣٩٧. والبخاري في صحيحه ج١/ص٣٩٨/ ح١١٣٢. والنسائي في سننه ج٢/ص٣٨/ح٧٠٠. والترمذي في سننه ج٢/ص١٤٨/ح٣٢٦.
والدليل على ذلك حديث: (لا ينبغي للمَطِّي أن تُعمل إلى مسجدٍ تُبتَغى فيه الصلاةُ غير المسجدِ الحرامِ والمسجدِ الأقصى ومسجدي هذا) رواهُ أحمدُ في مسنده ، مسند أبي سعيد الخدري وحَسّنه الحافظُ ابنُ حَجَر....فهذا الحديثُ يفسِّرُ حديثَ "لا تُشَدُّ الرِحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجد"
وكذلك حديث ....فَضْلُ الصلاةِ في المسجدِ الحرامِ على غيرِهِ مائةُ ألفِ صلاةٍ وفي مسجدي هذا ألفُ صلاةٍ وفي مسجد بيتِ المقدس خمسمائةِ صلاةٍ) رواه البيهقي في سننه بابُ إتيانِ المدينةِ وزيارةِ قبرِ النبي صلّى الله عليه وسلم.
واعلم أنّ الحافظ العراقي قال في أَلفَيتِه في مصطلحِ الحديثِ: وخيرُ ما فسرَتَهُ بالواردِ...معناه ان خير ما افسر به اية قرآنية او حديثا نبويا شريفا هو ان اورد اية او حديثا يفسر تلك الآية او ذاك الحديث .
وذهب بعضهم لتضعيف سند الحديث الشريف: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) مع أن العلماء احتجوا به فقد رواه السيوطي والقاضي عياض والترمذي والعقيلي وحسنه الذهبي ونقله ملا علي القاري والخفاجي ونقله ايضا الحافظ الضياء المقدسي في (فضائل الأعمال) في فضل زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكره الحافظ الحليمي والإمام الرافعي والامام النووي وابن الملقن.
والله تعالى كشف زيف المنافقين الذين يعرضون عن زيارته صلى الله عليه وسلم فقال: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سورة (المنافقون).
مع أن الكرماء إذا زرتهم وجب عليهم ضيافتك واستقبالك بشكل حسن فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم؟!!!.

[2]) الميت هو الكافر ولو كان حياً حياة دنيوية لأن الله تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ للكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:١٢٢) وقال سبحانه عمن يستجيب ويؤمن فهو الحي:)يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَللرَّسُول إِذَا دَعَاكُمْ لمَا يُحْيِيكُمْ..) (لأنفال:٢٤) ومنع أن نقول(أي ممنوع القول) عن الشهداء أموات بل أحياء: (وَلا تَقُولُوا لمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيل اللهِ أَمْوَاتٌ بَل أَحْيَاءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ) (البقرة:١٥٤).

عليه حتى يقوم)([1]).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا مر الرجل بقبر أخيه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام.
س٣-ما معنى قوله تعالى (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ)(فاطر:٢٢)؟
ج٣- ما قاله ابن القيم في كتاب الروح:
إن سياق الآية يدل على أن المراد أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعاً ينتفع به، كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعاً ينتفعون به. ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً ألبتة، كيف وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين([2])،([3]) وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه. وشرع السلام عليهم أي الأموات بصيغة الخطاب الذي يسمع، وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام. وهذه الآية نظير قوله تعالى: (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) [النمل: ٨٠].

(الفصل السابع) (إهداء الثواب للأموات)
س١- ما حكم قراءة القرآن على القبور وإهداء ثوابها للأموات؟
ج١- اعلم أن عمل المسلمين من القراءة والتهليل على أمواتهم هو الحق والصواب، وأن ثواب ذلك يصل إلى موتاهم باتفاق علماء الإسلام لأنهم يدعون بعد القراءة والتهليل بقولهم: اللهم أوصل ثواب ما قرأنا أو هللنا إلى فلان.
وإنما الخلاف إذا لم يدع بذلك فالمشهور من مذهب الشافعي أنه لا يصل، واعتمد علماء الشافعية المتأخرون وصول ثواب القراءة والذكر إلى الميت كمذهب الأئمة الثلاثة، وعليه عمل الناس (وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن).
قال سيدنا الإمام الحجة قطب الإرشاد الإمام عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به: وإن أعظم ما يهدى إلى الموتى بركته وأكثره نفعاً قراءة القرآن، وإهداء ثوابه إليهم وقد أطبق على العمل بذلك المسلمون في الأعصار والأمصار وقال به الجماهير من العلماء والصالحين سلفاً وخلفاً.. الخ انتهى ما قال رضي الله عنه في كتابه (سبيل الأذكار).
س٢- ما الدليل على جواز قراءة القرآن للأموات؟
ج٢- الدليل: - ما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن معقل بن يسار أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (اقرؤوا على موتاكم سورة يس)([4]).
قال العلماء: وهذا الحديث مطلق فيشمل القراءة حال الاحتضار وبعد الوفاة.

---

[1]) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٥٧٠/٣ ح /٦٧١١ ورواه أبو الشيخ والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر كنز العمال ح / ٤٢٦٠١.
[2]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٢٠١/ح٢٨٧٠.والبخاري في صحيحه ج١/ص٤٦٣/ ح١٣٠٨. والنسائي في سننه ج٤/ص٩٧/ح٢٠٤٩، ج٤/ص٩٧/ح٢٠٥٠، ج٤/ص٩٨/ ح٢٠٥١. وغيرهم.
[3]) (كتاب الروح) هو من الكتب النفيسة في الموضوع فاحرص عليه، ففيه تفصيل عن حياة البرزخ. والله أعلم.
[4]) أخرجه ابن حبان في صحيحه ج ٧/ص ٢٦٩/ح ٣٠٠٢ وأخرجه أبي داود في سننه ج ٣/ ص ١٩١/ح ٣١٢١وأخرجه الطيالسي في مسنده ج ١/ص ١٢٦٢.

- وأخرج الطبراني([1]) والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر مرفوعاً: (إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة، وعند رجليه بخاتمة البقرة). ذكره الإمام السيوطي في جمع الجوامع.
- وذكر ابن القيم في كتاب (الروح) ما يقتضي سن الدرس على القبر، واستدل لذلك بأن جماعة من السلف أوصوا أن يقرأ عند قبورهم منهم ابن عمر أوصى أن يقرأ عند قبره سورة البقرة.
- وأن الأنصار كانت إذا مات الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون القرآن عنده). انتهى.
- وذكر العلماء أنه يجوز للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة كانت أو قراءة أو غيرهما ويدل لذلك:
- ما أخرجه الدارقطني من حديث: أن رجلاً جاء فقال: يا رسول الله! إنه كان لي أبوان أبرهما في حال حياتهما، فكيف لي ببرهما بعد موتهما؟. فقال - صلى الله عليه وآله وسلم-: (إن من البر أن تصلي لهما مع صلاتك. وأن تصوم لهما مع صيامك)([2]).
س٣- ما معنى قوله تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى) [النجم: ٣٩]، وقوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله....) الخ؟
ج٣- قال ابن القيم في كتاب الروح:
إن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما أخبر أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه، وهو سبحانه لم يقل: إنه لا ينتفع إلا بما سعى.
وقوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (انقطع عمله) ولم يقل انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله فإن وهبه له فقد وصل إليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو، فالمنقطع شيء والواصل شيء آخر) اهـ. ملخصًا فافهم ذلك.
وذكر أهل التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى). منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى: (وَالذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) [سورة الطور: ٢١] فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء.
وقال عكرمة: إن ذلك لقوم موسى وإبراهيم عليهما السلام، وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا، وما يسعى لهم غيرهم لما روى أن امرأة دفعت صبياً لها وقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: (نعم ولك أجر)([3]).
وقال آخر للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم-: إن أمي افتلتت نَفْسَها، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: (نعم). ([4]) والله أعلم.

---

[1]) رواه الطبراني في معجمه الكبير ٤٤٤/١٢ – ح/١٣٦١٣.
[2]) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٩/٣ ح/١٢٠٨٤. ولحديث: (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.
[3]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٣/ص١٢٥٥/ح١٦٣١. والنسائي في سننه ج٦/ص٢٥١/ ح٣٦٥١. وابن حبان في صحيحه ج١/ص٢٩٦/ح٩، وابن خزيمة في صحيحه ج٤/ص١٢٢/ ح٢٤٩٤.والترمذي في سننه ج٣/ص٦٦١/ح١٣٧٦ وغيرهم. وفي الحج صلاة وطواف وسعي وقراءة قرآن وذكر ودعاء بل صيام (ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم) وإن الإمام أحمد بن حنبل كان يمنع الصلاة، فقيل له: أليس في الحج صلاة؟ فقال: بلى، ورجع إلى قولهم. والله أعلم.
[4]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٦٩٧/ح١٠٠٤، ج٣/ص١٢٥٤/ح١٠٠٤، والبخاري في صحيحه ج١/ص٤٦٨/ح١٣٢٢، ج٣/ص١٠١٣/ح٢٦٠٥.

(الفصل الثامن) (حكم القبور)

س١- ما حكم التمسح بالقبور وتقبيلها؟

ج١- الحكم في ذلك عند أكثر العلماء مكروه فقط، وقال بعضهم: إنه مباح وجائز للتبرك ولم يقل أحد بتحريمها.

س٢- ما الدليل على جواز ذلك؟

ج٢- لأنه لم يرد فيها نهي من الشارع، ولا قام الدليل على المنع:

- وقد روي أن بلالاً رضي الله عنه لما زار المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم- جعل يبكي، ويمرغ خديه على القبر الشريف([1]).

- وإن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى عليه. ذكر ذلك الخطيب ابن جمله.

- وثبت عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن تقبيل قبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- ومنبره فقال: لا بأس بذلك([2]).

س٣- ما حكم تجصيص القبور والبناء عليها؟

ج٣- أما تجصيص القبر فهو مكروه عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة: لا يكره ذلك، ولم يرد في الشرع ما يدل على التحريم، وأما حديث النهي أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يقعد عليه فقد اتفق جمهور العلماء على أن النهي للتنزيه لا للتحريم([3]).

س٤- هل ما يفعله الناس في كثير من البلدان من تجصيص القبور لمجرد العبث؟

ج٤- لم يفعلوا ذلك لمجرد العبث والزينة؛ بل لأغراض حسنة، ومصالح:

- منها أن تعرف كونها قبوراً فتحيى بالزيارة، وتحترم من الإهانة.

- ومنها أن يمتنع الناس من نبشها قبل البِلى، فإن ذلك محرم في الشريعة.

- ومنها أن يجمع إليها الأقارب كما هو السنة.

فقد ثبت أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- وضع على قبر عثمان بن مظعون صخرة وقال:

---

[1]) بعد أن رأى سيدنا النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام، وكان سيدنا بلال مقيماً في داريا بدمشق وقال له في الرؤيا: ما هذا الجفاء يا بلال؟! ثلاث مرات فقام سيدنا بلال من نومه وتوجه إلى المسجد النبوي.. الحديث رواه ابن عساكر بسند جيد.

[2]) قال الامام الذهبي(سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٢.) : «قلت: أين المتنطع المنكر على أحمد، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي -صلى الله عليه وسلم- ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأسا. أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع).

[3]) في صحيح مسلم- كتاب الجنائز-باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه - حديث:١٦٦٣: عن جابر رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، وفي سنن الترمذي الجامع الصحيح- أبواب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور- حديث:١٠٠٨ بعد أن أورد الحديث قال: هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن جابر " وقد رخص بعض أهل العلم منهم: الحسن البصري، في تطيين القبور "، وقال الشافعي: " لا بأس أن يطين القبر" انتهى. ورواه الحاكم في مستدركه ثم قال الحاكم رحمه الله: هذه الأسانيد صحيحة وليس العمل عليها فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم وهو عمل أخذ به الخلف عن السلف. أخرجه الحاكم في مستدركه ج ١/ص ٥٢٥/ح ١٣٧٠ انتهى.

قال محمد نور عفا عنه ربه الغفور: فيكون فهم السلف الصالح للحديث: أن النهي لكراهة التنزيه وليس للتحريم، أو النهي عن الإسراف في ذلك، أو النهي لحاجة أهله للمال والله أعلم.

(أُعلّم على قبر أخي لأدفن إليه من مات من أقاربي). رواه أبو داود والبيهقي([1]). وأما البناء على القبور فقد ذكر العلماء في ذلك تفصيلاً:

- إن كان في أرض مملوكة لنفسه أو لغيره بإذنه فهو مكروه ولا يحرم سواء كان البناء قبة أو غيرها.

- وإن كان في مقبرة موقوفة أو مسبلة فهو حرام وعلة التحريم التحرز عن الدفن والتضييق للمقبرة لا غير.

- نعم استثنوا قبور الصالحين وأئمة المسلمين فيجوز البناء عليها ولو في مسبلة لما في ذلك من إحياء الزيارة المأمور بها في الشرع، وللتبرك بها، وينتفع الحي والميت بالقراءة عندها، واستدلوا على ذلك بعمل المسلمين سلفاً وخلفاً وذلك حجة عند العلماء ([2]).

س٥- ما معنى الحديث: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ([3])؟

ج٥- ذكر العلماء أن معنى الحديث السجود لها والصلاة إليها على قصد التعظيم كما يفعله اليهود والنصارى من السجود لقبور أنبيائهم، ويجعلونها قبلة لهم، يتوجهون بصلاتهم إليها تعظيماً لها، وهذا حرام قطعاً([4]).

فالنهي إما هو عن التشبه بهم بأن يفعل كفعلهم من السجود للقبور، أو الصلاة إليها، وهذا لا يصح من مسلم، ولا يوجد في الإسلام لقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم والترمذي والإمام أحمد([5]).

س٦- ما حكم تلقين الميت بعد دفنه؟

ج٦- تلقين الميت البالغ بعد الدفن مستحب عند كثير من العلماء لقوله تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِينَ) [سورة الذاريات: ٥٥]، حيث استحبه الشافعية والأكثر من الحنابلة والمحققون من الحنفية والمالكية.

وأحوج ما يكون العبد إلى التذكير في هذه الحالة.

- وقد ذكر ابن تيمية في فتاويه: (إن التلقين المذكور قد ثبت عن طائفة من الصحابة أنهم أمروا به.

وقال الإمام أحمد: لا بأس به، واستحبه طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد.

قال: وقد ثبت أن المقبور يسأل ويؤمر بالدعاء له، فلهذا قيل: إن التلقين ينفعه، فإن الميت

---

[1]) سنن أبي داود ج: ٣ ص: ٢١٢ وسنن البيهقي الكبرى ج: ٣ ص: ٤١٢

[2]) الضريح هو بناء جدار أو سياج حول القبر، وبالتالي يكون أول ضريح في الإسلام ضريح قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي دفن في بيته، وبيته له جدار، ومن ضرائح الصحابة قبر الصحابي الجليل (أبو بصير) قاهر قوافل المشركين في طريق بلاد الشام بعد صلح الحديبية، حيث ضرب الصحابة على قبره خيمة لكي يعرف بها. فالأضرحة بذلك ليست محرمة، بل إن وضع الضريح حول الرجل الصالح يصبح أحياناً مطلوباً من باب سد الذرائع حتى لا يقع محبوه في المحظورات الشرعية أثناء زيارتهم لقبره والله أعلم.

[3]) أخرجه مسلم في صحيحه ج١/ص٣٧٦/ح٥٢٩، ج١/ص٣٧٧/ح٥٣١، والبخاري في صحيحه ج١/ص١٦٨/ح٤٢،ج١/ص١٦٨/ح٤٢٦

[4]) ومما يؤكد هذا المعنى أن أماكن عبادة اليهود والنصارى الكنائس والبيع وليست تسمى مساجد قال تعالى: (..وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ..) (الحج:٤٠) وسميت المساجد لوجود السجود فيها فهي اسم مكان. والله أعلم.

[5]) أخرجه مسلم في صحيحه ج١/ص٣٧٦/ح٥٢٩، والبخاري في صحيحه ج١/ص١٦٨/ح٤٢٥.

يسمع النداء كما في الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (إنه يسمع قرع نعالهم)([1]) وقال: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)([2]) ا.هـ. ملخصا.

س٧- هل ورد في الحديث عن كيفية التلقين المذكور؟

ج٧- نعم، فقد روى الطبراني مرفوعاً: (إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه، ثم يقول: يا فلان ابن فلانه فإنه يستوي قاعداً، ثم يقول:

يا فلان ابن فلانة! فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل:

أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته)([3]) وقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال: (فينسبه إلى أمه حواء، يقول: يا فلان ابن حواء).

(الفصل التاسع) (حكم الأولياء)

س١- ما حكم الذبح بأبواب الأولياء؟

ج١- ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أن في ذلك تفصيلاً وهو أنه:

- إن فعل الإنسان ذلك باسم الولي أو لكي يتقرب به إليه فهو كمن ذبح لغير الله فالمذبوح ميتة والفاعل آثم ولا يكفر، إلا إن قصد به التعظيم والعبادة كما لو سجد له لذلك.

- أما من قصد الذبح لله تعالى وتصدق باللحم على الفقراء والمساكين ناوياً بثواب تلك الصدقة إلى روح الولي، فهذا جائز بل مندوب إليه باتفاق الأئمة لأنه من باب الصدقة على الميت والإحسان إليه الذي ندبنا إليه الشارع وحثنا عليه. فافهم ذلك.

س٢- ما حكم تقديم النذور إلى الأولياء؟

ج٢- ذكر العلماء نفع الله بهم:

- إن النذر لمشاهد الأولياء والعلماء جائز صحيح إن قصد الناذر أهل ذلك المحل من أولادهم أو الفقراء الذين عند قبورهم أو قصد صرفه في عمارة ضرائحهم لما في ذلك من إحياء الزيارة المشروعة.

- وكذا يصح إن أطلق الناذر ولم يقصد شيئاً من ذلك ويصرف فيما تقدم من المصالح بخلاف ما لو قصد تعظيم القبر والتقرب إلى صاحبه أو قصد النذر لنفس الميت فإنه لا ينعقد لأنه حرام ومن المعلوم أن ذلك لا يقصده أحد من الناذرين.

س٣- ما الذي يقصده المسلمون بذبائحهم ونذورهم للميتين؟

ج٣- اعلم أن المسلمين لا يقصدون بذلك إلا الصدقة عنهم، وجعل ثوابها إلى أرواحهم. فكل مسلم ذبح للنبي أو الولي أو نذر الشيء له فهو لا يقصد إلا أن يتصدق بذلك عنه، ويجعل

---

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٢٠١/ح٢٨٧٠. والبخاري في صحيحه ج١/ص٤٤٩/ح١٢٧٣، ج١/ص٤٦٣/ح١٣٠٨،

[2]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٢٠٤/ح٢٨٧٤. والبخاري في صحيحه ج١/ص٤٦٢/ح١٣٠٤،ج٤/ص١٤٦٢/ح٣٧٦٠،

[3]) المعجم الكبير للطبراني - باب الصاد- ما أسند أبو أمامة - سعيد بن عبد الله الأودي - حديث: ٧٨٦١، وروا ه في الدعاء أيضاً - باب ما يقال عند قبر الميت بعدما يدفن - حديث: ١١١٦.

ثوابه إليه، فيكون من هدايا الأحياء للأموات المأمور بها شرعاً، وقد أجمع أهل السنة وعلماء الأمة أن صدقة الأحياء نافعة للأموات وواصلة إليهم.

س٤- ما الدليل على وصول ثواب الصدقات إلى الأموات؟

ج٤- دلت على ذلك أحاديث صحيحة منها:

- ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم-: إن أبي مات ولم يوص أفينفعه أن أتصدق عنه؟ قال: (نعم)([1]).

- وعن سعد رضي الله عنه أنه سأل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- وقال: يا نبي الله إن أمي قد افتلتت، وأعلم أنها لو عاشت لتصدقت، أفإن تصدقت عنها ينفعها ذلك؟ قال: (نعم) فسأل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- أي الصدقة أنفع يا رسول الله؟ قال: (الماء)، فحفر بئراً، وقال: هذه لأم سعد([2]).

---

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٣/ص ١٢٥٤/ح ١٦٣٠ والنسائي في سننه ج٦/ص٢٥٢/ح٣٦٥٢. وابن خزيمة في صحيحه ج٤/ص١٢٣/ح٢٤٩٨. وابن ماجه في سننه ج٢/ص٩٠٦/ح٢٧١٦. وغيرهم.

[2]) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢/ص ١٣٠/ح ١٦٨١، وأبو يعلى في مسنده ج٥/ص٧٨/ح ٢٦٧٣.

(الفصل العاشر) (حكم الأيمان والنذور([1]))

س١- ما حكم الحلف بغير الله عز وجل؟

ج١- اختلف أهل العلم في الحلف بمن له حرمة كنبي وولي ونحوهما، فقال بعضهم: إنه مكروه، وقال آخرون: إنه حرام.

المشهور من مذهب الإمام أحمد بن حنبل جواز اليمين برسول الله - صلى الله عليه وآله

---

[1]) هذا المبحث من المباحث الفقهية في جميع المذاهب الفقهية ذكرت في مبحث الأيمان والنذور، ولا تجده في مباحث العقيدة كما يفعله البعض ويجعلها قضية عقدية، وفي المغني لابن قدامة (٩/ ٥١٣-٥١٤):

وقال أصحابنا: الحلف برسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمين موجبة للكفارة. وروي عن أحمد أنه قال: إذا حلف بحق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فحنث، فعليه الكفارة، قال أصحابنا: لأنه أحد شرطي الشهادة، فالحلف به موجب للكفارة، كالحلف باسم الله تعالى) انتهى.

النذور

محل الاتّفاق: هو أن يكون النذر لله من دون اهداء لغيره تعالى.

ومحل الخلاف: أن يكون النذر لله وثوابه للموتى من الأنبياء والأولياء الصالحين .

النّذر في القرآن الكريم:

من الآيات الّتي تدلّ على النّذر و وجوب الوفاء به هي:

قول الله عزّوجلّ: (وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصار(ألبقرة-٢٧٠)

(يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (الإنسان-٧).

أدلة الكتاب والسنة على وصول الثّواب من الأحياء إلى الأموات:

١. **-استغفار الملائكة للّذين آمنوا:** (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا... الآية . سورة غافر: ٧) .

من دون تحديد استغفارهم بزمان معيّن لذلك يشمل الماضين من الموتى والأحياء .

٢. **استغفار المؤمنين اللاحقين للسابقين:** (والَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ . سورة الحشر: ١٠) .

٣. **-و**عَنْ أم المؤمنين سيدتنا عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَإِنِّي أَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَلِي أَجْرٌ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

صحيح مسلم ، النّاشر: داراحياء التّراث العربي-بيروت ، ج٣ص١٢٥٤ باب وصول ثواب الصّدقة للأموات.

٤. **-جواز الصوم عمّن مات وعليه صيام:** عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ خالته سيدتنا عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ **صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**».

صحيح مسلم ، النّاشر: داراحياء التّراث العربي-بيروت ،ج٢ص٨٠٣ باب قضاء الصّيام عن الميّت .

فتاوى العلماء بانتفاع الأموات من عمل الأحياء:

قال الإمام محمّد بن ادريس الشّافعي والأصحاب: يُستحبّ أن يقرؤوا عنده (قبر الميّت) شيئاً من القرآن، قالوا: فإن ختموا القرآن كلّه كان حسناً) الأذكار للنووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار الفكر،بيروت– لبنان ، ص١٦٢.

-ابن القيّم الجوزيّة: وَذكر الْخلال عَن الشّعبِيّ قَالَ: كَانَت الْأَنْصَار إِذا مَاتَ لَهُم الْمَيّت اخْتلفُوا إِلَى قَبره يقرءُون عِنْده الْقُرْآن) كتاب الروح، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ص١١.

وسلم- ولزوم الحنث بمخالفته. لأن ذلك أحد ركني الشهادة ولم يقل أحد من العلماء أن الحلف بغير الله تعالى كفر إلا إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به كتعظيم الله، ولا يتعاطى ذلك أحد من أهل الإسلام، قالوا: وعلى ذلك حمل ما ورد في الخبر: (من حلف بغير الله فقد أشرك)([1]).

س٢- ما كان قصد بعض الناس من الحلف بالقبور أو بأصحابها؟

ج٢- فاعلم أنهم لا يقصدون بذلك حقيقة الحلف الذي هو اليمين وإنما ذلك من باب التوسل والتشفع إلى الله بمن له منزلة عنده والكرامة لديه في حياتهم وبعد وفاتهم لأن الله تعالى قد جعلهم أسباباً لقضاء حوائج عباده بشفاعتهم ودعائهم.

كأن يقول أحدهم: أقسمت عليك أو أقسم عليك بفلان أو بصاحب هذا القبر، ونحو ذلك من الألفاظ التي لا تؤدي إلى الحرام فضلاً عن الكفر والشرك([2]). فاعلم ذلك واحذر من الوقوع في المهالك بتكفير وتشريك المسلمين ونسأل الله أن يعصمنا وجميع المسلمين من الشرك ويغفر لنا ولهم ما دون ذلك([3]).

---

[1]) رواه الترمذي بإسناد حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما برقم ١٥٣٥

[2]) انظر الملحق رقم (١) ففيه تفصيل،

[3]) **ورد في عدة أحاديث نبوية تأكيد الكلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة القسم بالآباء في عدة مواضع وهو مما لا يقصد به حقيقةُ الحلف:**

١- فقد روى أحمد في مسنده ٢٣١/٢ ومسلم في صحيحه ٧١٦/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجراً؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أما وأبيكَ لتُنَبأنَّه، أن تَصَدَّقَ وأنت شحيح، تخشى الفقرَ وتأمل الغنى).

٢- وحديث الرجل النجي الذي سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإسلام... وفي آخره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أفلح وأبيه إن صدق) أو (دخل الجنة وأبيه إن صدق) رواه مسلم في صحيحه ٤١/١، وابو داود في سننه ١٠٧/١.

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! نَبئني بأحق الناس مني بحُسن صحبتي؟ فقال: (نعم، وأبيك لتنبأن، أمك) أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٧٤/٤ وابن ماجه ٩٠٣/٢ واللفظ له.

٤- وعن أبي العُشَراء عن أبيه قال: قلت: يارسول الله! أما تكونُ الذكاةُ إلا في الحلق أو اللبَّةِ؟ قال: (وأبيكَ، لو طعنتَ في فخذها لأجْزَاكَ) رواه أحمد في مسنده.

٥- وروي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أُتيَ بطعامٍ من خُبزٍ ولحم، فقال: (ناولني الذراع) فناوله ذراعاً فأكلها، ثم قال: (ناولني الذراع) فنوول ذراعاً فأكلها، ثم قال: (ناولني الذراع) فقال: يا رسول الله، إنما هما ذراعان!، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (وأبيكَ، لو سَكَتَّ ما زلتُ أُناوَل منها ذراعاً ما دعوتُ به) أخرجه أحمد في مسنده ٤٨/٢ وذكره أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٢/٨.

وقد وردت آثار من فعل الصحابة رضوان الله عليهم فمنها:

١- جاء في قصة الأقطع الذي سرق عِقداً لأسماء بنت عميس رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه قال له: (وأبيكَ، ما ليلُكَ بليل سارق). أخرجه مالك في الموطأ ٨٣٥/٢ والشافعي في مسنده ٣٣٦/١.

(الفصل الحادي عشر) كرامات الأولياء

س١- هل لأولياء الله كرامات في الحياة وبعد الممات؟

ج١- نعم يجب أن نعتقد أن كرامات الأولياء حق، أي جائزة وواقعة في حياتهم وبعد وفاتهم. ولا ينكر ذلك إلا من عميت بصيرته وفسدت سريرته.

س٢- ما الدليل؟

ج٢- الدليل أمران:

- أحدهما ما حكاه الله في كتابه العزيز:

- كقصة مريم: قال الله تعالى: (كُلَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [سورة آل عمران:٣٧].

- قال أهل التفسير: كان يوجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وكان يجيؤها ذلك من طريق غير مألوف، وذلك هو الكرامة أكرمها الله تعالى بها. (١)

- وقال تعالى في حقها أيضاً: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) [سورة مريم:٢٥](٢).

- و من ذلك قصة أهل الكهف فقد ذكرها الله تعالى في كتابه: أنهم ناموا ثلاثمائة عام وتسعة أعوام دون أن يتناولوا فيها طعاماً ولا شراباً، وأنه تعالى تولى تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال بدون أي سبب لئلا تتألم جنوبهم، وأنه تعالى جعل الشمس إذا طلعت وإذا غربت لا تصيب المكان الذي هم فيه حفظا لهم من حرارة الشمس أن تؤذيهم.

- ومما ذكر الله في القرآن أيضاً:

١- كرامة الخَضر، ٢- وكرامة ذي القرنين، ٣- وكرامة آصف بن براخيا الذي عنده علم من الكتاب(٣).

٢- ثبت في الصحاح أن امرأة أبي بكر رضي الله عنهما قالت له: (لا، وقُرةِ عيني، لهي الآن أكثرُ منها قبل ذلك بثلاث مرات) تعني طعام أضيافه. أخرجه أحمد في مسنده ١٩٨/١ والبخاري في صحيحه ٢٧/١ ومسلم في صحيحه ١٦٢٧/٣.

وهذا دليل جواز ذلك هوأن النهي بالحلف بغير الله مما جرت عليه أحلاف الجاهلية كالحلف باللات والعزى ونحو ذلك.

انظر النووي في شرح صحيح مسلم ١٦٨/١، وابن حجر في فتح الباري ٥٣٤/١١-٥٣٥ كلام ابن المنذر والبيضاوي رحمهم الله تعالى،، نقلاً من كتيب: البيان والتقويم لتصحيح بعض المفاهيم لفضيلة مفتي مصر الحالي الأستاذ الدكتور علي جمعة نشر مكتبة السندس القاهرة.

١) لماذا قالت (هو) وسؤال زكريا لـ هذا؟ وما علاقة (هو من عند الله) بقوله (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) {آل عمران:٣٨} أي اللحظة (هنالك) مع (هو) تذكر زكريا نفسه أنه بدون ولد فطلب الولد فيكون (هو) إشارة مريم لبطنها عن حملها، وليس لرزق الطعام، لأنه في كل مرة يجد عندها رزق الطعام، وفي هذه المرة استغرب حملها، فلما أجابته توجه إلى الله بطلب الولد، فافهم فإنما تلقيناه عن أهل الله، والله أعلم.

٢) (هزي إليك) باتجاه واحد إليك فقط، وليس بالاتجاهين ذهاباً وإياباً، ومن يقدر على هز جذع النخلة؟! إنها الكرامة، وحتى الكرامة أظهرها بحركة العبد. والله أعلم.

٣) وأحضر عرش بلقيس: (قَالَ الذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:٤٠).

س٢- ما هو الأمر الثاني من الدليل على ثبوت الكرامات؟

ج٢- الأمر الثاني:

- ما تواتر معناه من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى وقتنا مما ملأ الآفاق وسارت به الرفاق:

- فقد روى البخاري في صحيحه أن سيدنا خبيباً رضي الله عنه كان يأكل الفاكهة في غير أوانها، وهو أسير بمكة موثق بالحديد ولم يكن بمكة يومئذ ثمرة وما هو إلا رزق رزقه الله إياه فهي كرامة له([1]).

- وروى البخاري أيضاً أن سيدنا عاصماً لما قُتل؛ أراد المشركون أن يأخذوا قطعة من جسده؛ فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر، وهي جماعة النحل أو الدبابير فحمته منهم؛ فلم يقدروا منه على شيء، وهذه كرامة لعاصم رضي الله عنه بعد موته ([2]).

- وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- في ليلة ظلماء فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا في ضوئها، فلما تفرق بهم الطريق، أضاءت لكل واحد منهما عصاه، فمشى في ضوئها، أخرجه البخاري ([3]).

- وكرامات الأولياء كثيرة لا تدخل تحت الحصر وكلها معجزات للرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- وإخوانه الأنبياء عليهم السلام (لأنه ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي) فمنهم من دخل النار فلم تؤثر فيه، ومنهم من وقع على يديه إحياء الموتى، ومنهم أهل الخطوة، ومنهم من يمشي في الهواء والماء، ومنهم من أطاعته الجن وغير ذلك([4]).

(تنبيه): ذكر العلماء رحمهم الله: أن خوارق العادات:

(١-) إن كانت على يد كافر.

(٢-) أو فاسق فهو سحر([5])،

(٣-) وإن كانت على يد ولي وهو المؤمن المستقيم فهي كرامة([6]).

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه ج٣/ص١١٠٨/ح٢٨٨٠، ج٤/ص١٤٦٥/ح٣٧٦٧، ج٤/ص١٤٩٩/ح٣٨٥٨. وغيره.

[2]) أخرجه البخاري في صحيحه ج٣/ص١١٠٨/ح٢٨٨٠، وغيره.

[3]) أخرجه ابن حبان في صحيحه ج٥/ص٣٧٧/ح٢٠٣٠، وأحمد في مسنده ج٣/ص١٣٨/ ح١٢٤٢٧، والحاكم في مستدركه ج٣/ص٣٢٧/ح٥٢٦١. والطيالسي في مسنده ج١/ ص٢٧١/ ح٢٠٣٥. والنسائي في سننه الكبرى ج٥/ص٦٨/ح٨٢٤٥. وعبد بن حميد في مسنده ج١/ص٣٧٣/ح١٢٤٤.

[4]) نحن بحاجة لذكر معجزات الرسل وكرامات الأولياء في هذا العصر المادي لأنها تقوي من الإيمان، وليس شرطاً على أحد أن يؤمن بكرامة معينة سمعها أو قرأها، لأن الإيمان بها حسب ثقة السامع أو القارئ، كما أن إنكار كرامة معينة؛ لا تقلل من قيمتها، وللشيخ ابن تيمية رحمه الله كتاب (أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ذكر في أوله أكثر من مئة كرامة للصحابة والتابعين، ثم قال: (وما رأيناه في عصرنا أكثر من أن يذكر).

[5]) أو استدراج كما سمعناه من الشيوخ الأجلاء. والله أعلم.

[6]) **فضل أبو مسلم الخولاني وكرامته العظيمة بعدم احتراقه من مدعي النبوة العنسي اليمني:**

(الفصل الثاني عشر)
(رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام)

س١- هل يمكن رؤيته - صلى الله عليه وآله وسلم- يقظة؟

ج١- رؤيته - صلى الله عليه وآله وسلم- في اليقظة ممكنة وواقعة فقد ذكر العلماء نفع الله بهم أن كثيراً من أئمة الصوفية رأوه في المنام، ثم رأوه في اليقظة، وسألوه عن أشياء من مصالحهم ومآربهم.

س٢- ما الدليل على إمكان ذلك؟

ج٢- الدليل على ذلك:

ففي صحيح ابن حبان - كتاب البر والإحسان- باب الصحبة والمجالسة - ذكر إيجاب محبة الله للمتناصحين والمتباذلين فيه- حديث:٥٧٨

أخبرنا أبو يعلى، حدثنا مخلد بن أبي زميل، حدثنا أبو المليح الرقي، عن حبيب بن أبي مرزوق، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي مسلم الخولاني، قال: قلت لمعاذ بن جبل: والله إني لأحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك، قال: فلأي شيء؟ قلت: لله، قال: فجذب حبوتي، ثم قال: أبشر إن كنت صادقا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: " المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء " ثم، قال: فخرجت فأتيت عبادة بن الصامت، فحدثته بحديث معاذ " فقال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن ربه تبارك وتعالى: " حقت محبتي على المتحابين في، وحقت محبتي على المتناصحين في، وحقت محبتي على المتزاورين في، وحقت محبتي على المتباذلين في، وهم على منابر من نور، يغبطهم النبيون والصديقون بمكانهم "،

قال أبو حاتم: أبو مسلم الخولاني اسمه عبد الله بن ثوب، يماني، تابعي، من أفاضلهم وأخيارهم، **وهو الذي قال له العنسي:** أتشهد أني رسول الله ؟، قال: لا، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله ؟، قال: نعم، فأمر بنار عظيمة، فأججت وخوفه أن يقذفه فيها إن لم يواته على مراده، فأبى عليه، فقذفه فيها، فلم تضره فاستعظم ذلك، وأمر بإخراجه من اليمن، فأخرج فقصد المدينة، فلقي عمر بن الخطاب فسأله من أين أقبل ؟، فأخبره، فقال له: ما فعل الفتى الذي أحرق ؟، فقال: لم يحترق، فتفرس فيه عمر أنه هو، فقال: أقسمت عليك بالله، أنت أبو مسلم؟ قال: نعم، فأخذ بيده عمر حتى ذهب به إلى أبي بكر، فقص عليه القصة، فسرا بذلك، وقال أبو بكر: الحمد لله الذي أرانا في هذه الأمة من أحرق فلم يحترق، مثل إبراهيم صلى الله عليه وسلم. وقيل: إنه كان له امرأة صبيحة الوجه، فأفسدتها عليه جارة له، فدعا عليها، وقال: اللهم أعم من أفسد علي امرأتي. فبينما المرأة تتعشى مع زوجها إذ قالت: انطفأ السراج ؟، قال زوجها: لا، فقالت: فقد عميت، لا أبصر شيئا، فأخبرت بدعوة أبي مسلم عليها، فأتته فقالت: أنا قد فعلت بامرأتك ذلك، وأنا قد غررتها وقد تبت، فادع الله يرد بصري إلي، فدعا الله وقال: اللهم رد بصرها، فرده إليها).

وقال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ١٥٦/٣):

(ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة .) اهـ.

فهل يوجد بعد بيان ابن تيمية رحمه الله بيان آخر وهو متوافق مع أهل السنة والجماعة ومتوافق مع أهل التصوف وتزكية الأنفس؟!!

- ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي)([1]).

قال العلماء معني هذا الحديث: التبشير بأن من فاز من أمته برؤيته في المنام لابد إن شاء الله تعالى أن يراه في اليقظة ولو قبيل الموت بهنيهة، ولا يصح أن تفسر هذا الحديث على رؤيته - صلى الله عليه وآله وسلم- في الآخرة أو البرزخ لأن سائر الأمم تراه يومئذ ففي الحديث أدل دليل على أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- ملأ الأكوان لأنه شامل لملأ ممن رآه في المشرقين والمغربين.

قال الإمام السيوطي رحمه الله: قد تحصل من مجموع الأحاديث: أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- حي بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض والملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، وأنه يغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة، فإذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد كرامته برؤيته رآه على هيئته([2]).

(الفصل الثالث عشر)

(حكم الخَضِر بفتح الخاء)

س١- هل سيدنا الخَضِر عليه السلام حي أم لا؟

ج١- أجمع جمهور العلماء الأعلام على حياة الخَضِر عليه السلام، واشتهر ذلك عند الخاص والعام([3]):

- قال ابن عطاء الله في لطائفه: قد تواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه والأخذ عنه واشتهر ذلك إلى أن بلغ حد التواتر الذي لايمكن جحده.

- وذكر ابن القيم في كتابه مثير الغرام السكن أربع روايات صحيحة في حياته.

- وروى البيهقي في كتاب دلائل النبوة أنه لما توفي - صلى الله عليه وآله وسلم- سمعوا صوتاً من ناحية البيت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت

---

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص١٧٧٥/ح٢٢٦٦، والبخاري في صحيحه ج١/ص٥٣/ح١١٠، وغيرهما.

[2]) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون) رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات انظر مجمع الزوائد ٢١١/٨.
عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة؛ فإن صلاتكم معروضة علي)، قالوا: يا رسول الله! وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟! -أي يقولون قد بليت- قال: (إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام) أخرجه النسائي في سننه ج ٣/ص ٩١/ح ١٣٧٤وابن حبان في صحيحه ج٣/ص١٩٢/ح٩١٠. وابن خزيمة في صحيحه ج٣/ص١١٨/ح١٧٣٣. وغيرهم.

[3]) عن أبي سعيد الخدري قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: (يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه)،
قال أبو إسحاق يقال: إن هذا الرجل هو الخَضر عليه السلام. أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤/ص ٢٢٥٦/ح ٢٩٣٨.

وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب، فقال على كرم الله وجهه أتدرون من هذا هو الخَضِر عليه السلام([1]).

(الفصل الرابع عشر)
الاستشفاء بالقرآن والأسماء الإلهية

واعلم أن الله تعالى لم يُنزل من السماء شفاء قط أنفع من القرآن فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء: قال تعالى:
(وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ) [الإسراء٨٢]
وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم-: (من لم يشف بالقرآن فلا شفاه الله)([2]).

س١- ما حكم الرقي للأمراض؟

ج١- أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:
- أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.
- وأن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.
- وأن يعتقد أن الرقية لا تأثير لها بذاتها بل بتقدير الله تعالى.

س٢- ما الدليل على جواز الرقي بما ذكر؟

ج٢- الدليل ما رواه مسلم من حديث عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية. فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال: (اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى، إذا لم يكن فيه شرك)([3]).

س٣- ما هي الرقى المنهي عنها؟

ج٣- المنهي عنه من الرقى هو ما كان بغير لسان العرب، فلم يدر ما هو؟.. ولعله قد يدخله سحر أو كفر.
وأما إذا كان مفهوم المعنى من ذكر الله تعالى أو أسمائه وصفاته، فهو جائز بل مستحب متبرك به.

س٤- ما حكم كتابة التمائم وتعليقها؟.

ج٤- يجوز كتابة التمائم التي ليس فيها شيء من الأسماء التي لا يعرف معناها، وكذلك يجوز تعليقها على الآدميين والدواب على المذهب الصحيح الذي عليه المحققون من علماء

---

[1]) رواه المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب المغازي والسرايا- حديث: ٤٣٣٩- ٢٥٢٢٠ ورواه الشافعي في السنن المأثورة ج/١ ص/٣٣٤- والجامع لمعمر بن راشد ١١/ ٣٩٣ ومصنف عبد الرزاق ٥/ ١٦٨.وغيره م وله ١٦ طريقاً.

[2]) رواه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة - باب الراء - باب من اسمه ربيعة - رجاء الغنوي حديث: ٢٤٩١- ١٠٩٧٩ عن ساكنة بنت الجعد، قالت: سمعت رجاء الغنوي، وكان أصيبت يده يوم الجمل قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما مدح الله به نفسه"، قلنا: وما ذاك بأبي وأمي يا رسول الله ؟ قال: (الحمد لله، وقل هو الله أحد، فإنه من لم يشفه القرآن فلا شفاه الله " أي سورتي الفاتحة والإخلاص، ورواه ابن قانع في معجم الصحابة باب الراء بنفس لفظ أبي نعيم، ورواه الحسن الخلال في فضائل سورة الإخلاص حديث: ٣٢- ١٠٩٧٩، وانظر كنز العمال رقم ٢٨١٠٦ وعزاه للدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3]) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤/ص ١٧٢٧/ح ٢٢٠٠ .

الأمة المحمدية.
- وذكر ابن القيم في زاد المعاد:
عن ابن حبان قال: سألت جعفر بن محمد بن علي رضي الله عنهم عن تعليق التعويذ؟ فقال: إن كان من كتاب الله أو كلام عن نبي الله فعلقه واستشف به.
- وذكر أيضاً أن الإمام أحمد سئل عن التمائم تعلق بعد نزول البلاء؟
قال: أرجو أن لا يكون به بأس.
وقال عبد الله بن الإمام أحمد: رأيت أبي يكتب التعويذ للذي يفزع، وللحمى بعد نزول البلاء .
وقال ابن تيمية في فتاويه:
- نقلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يكتب كلمات من القرآن والذكر ويأمر بأن تسقى لمن به داء. وهذا يقضي أن لذلك بركة ونص الإمام أحمد على جوازه. اهـ.
س٥- ما المنهي عنه من التمائم في حديث من علق تميمة فقد أشرك؟
ج٥- قال العلماء: المراد بالتميمة في هذا الحديث هي: خرزة أو قلادة، تعلق على الإنسان في الجاهلية ويعتقدون أنها تدفع الآفات، وإنما كانت ذلك شركاً لأنهم أرادوا به دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله، ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله تعالى وكلامه.

(الفصل الخامس عشر)
(حكم المولد الشريف)([1])

س١- ما حكم عمل المولد والاجتماع له؟
ج١- عمل المولد والذي هو ذكر الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- وما وقع في مولده من الآيات والمعجزات من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدره - صلى الله عليه وآله وسلم، وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف.
س٢- إلى كم تنقسم البدعة؟
ج٢- قسم العلماء رحمهم الله البدعة إلى قسمين حسنة وقبيحة.
س٣ - ماهي البدعة الحسنة؟
ج٣- هي ما رآه أئمة الهدى مما يوافق الكتاب والسنة من حيث إيثار الأصلح والأحسن وذلك كجمع القرآن في مصحف، وصلاة التراويح([2])، وإحداث الربط والمدارس، وكل إحسان لم

---

[1]) من فضل الله تعالى تم طباعة كتاب (أدلة الكتاب والسنة وعمل الأمة في جواز الاحتفال بالمناسبات النبوية ومنها يوم المولد الشريف صلى الله عليه وسلم

[2]) جاء في كتاب (البيان والتحصيل) قال محمد بن رشد: لما كان قيام رمضان مرغبا فيه، لقوله - صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ -: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» . وكان للجمع فيه أصل للسنة، وكان العمل قد استمر فيه على هذا العدد من يوم الحرة إلى زمنه، وذلك أن عمر بن الخطاب كان أمر أبي بن كعب، وتميما الداري، أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، فكانا يطيلان القيام، حتى لقد كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا في فروع الفجر؛ فشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، فأمرهما أن يزيدا في عدد الركوع، وينقصا من طول القيام؛ فكانا يقومان بالناس بثلاث وعشرين ركعة، وكان القارئ يقرأ بسورة البقرة في ثمان ركعات؛ فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة، رأى الناس أنه قد خفف، فكان الأمر على ذلك إلى يوم الحرة، ثم شكوا ذلك لما اشتد عليهم، فنقصوا من طول القيام، وزادوا في عدد الركوع، حتى أتموا تسعا وثلاثين ركعة بالوتر، ومضى الأمر على ذلك من يوم الحرة، وأمر عمر بن عبد

يعهد في العصر الأول:
- وفي الحديث: (من سن سنة حسنة في الإسلام فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء) رواه مسلم ([1]).
س٤- ما هي البدعة المذمومة؟
ج٤- هي ما خالف نصوص الكتاب والسنة أو خرق إجماع الأمة وعليها حمل قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم-: (وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) ([2]) فالمراد بذلك المحدثات الباطلة والبدع المذمومة([3]).

س٥- هل لعمل المولد أصل من السنة النبوية؟ ([4]).
ج٥- نعم، وقد استخرج له إمام الحفاظ أحمد بن حجر العسقلاني أصلاً ثابتاً من السنة وهو:
- ما ثبت في الصحيحين أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم؟ فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالى، فصامه - صلى الله عليه وآله وسلم- وأمر المسلمين بصومه)([5]).
- قال: فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به من إسداء نعمة؛ أو دفع نقمة في يوم معين، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة: كالسجود والصيام والصدقة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة. اهـ. ملخصاً. نقله الإمام السيوطي في فتاويه.
- فعلم مما تتقدم أن الاجتماع لسماع قصة مولده - صلى الله عليه وآله وسلم- من أعظم القربات لما في ذلك من إظهار الشكر لله بظهور صاحب المعجزات، ولما يشتمل عليه من: إطعام الطعام، والصلات، وكثرة الصلاة، والتحيات، وغير ذلك من وجوه القربات.
- وقد صرح العلماء الأعلام بأن عمل المولد أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة لنيل البغية والمرام، وإنما الأعمال بالنيات، والله سبحانه أعلم، والسلام.

العزيز أن يقوموا بذلك، وأن يقرؤوا في كل ركعة بعشر آيات، فكره مالك أن ينقص من ذلك، إذ لا ينبغي أن يحمل الناس على انتقاص الخير، وإنما ينبغي أن يرغبوا في الازدياد فيه، ويحملوا على ذلك إن أمكن، وكان بالناس عليه طاقة، وإليه نشاط، وبالله تعالى التوفيق.

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٧٠٦/ح١٠١٧.

[2]) رواه سنن أبي داود - كتاب السنة- باب في لزوم السنة - حديث: ٤٠١٢ سنن الدارمي - باب اتباع السنة- حديث: ١٠٠، وغيرهما. وله ٦٥ طريقاً، انظر برنامج جامع الحديث النبوي.

[3]) من البدع الحديثة في عصرنا: العبث بالأحكام الشرعية حيث يكون الحكم مقيداً فيطلقه أو بالعكس، أو يكون عاماً فيجعله خاصاً أو وبالعكس، وبطريقة الهوى، وليس بمنهج أصولي معتبر، أو جعل الفرض سنة، أو بالعكس، وبالتالي يؤدي للعبث والفوضى بالأحكام الشرعية وفق منطق الهوى والله أعلم.

[4]) من فضل الله تعالى علي أن وفقني لتأليف كتاب (أدلة الكتاب والسنة وعمل الأمة في جواز الاحتفاء والاحتفال بالمناسبات النبوية) وتم مناقشة الخصم والاستدلال على جوازه، وعمل الأمة بما فيهم ابن تيمية وابن القيم وابن كثير ومعهم ١٢٠ عالماً.

[5]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٧٩٢/ح١١٢٥، والبخاري في صحيحه ج٢/ص٥٧٨/ح١٥١٥، وغيرهما. وقد كانت العرب تصومه وصامه الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة، وهو يوم نجا الله فيه سيدنا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، انظر فتح الباري في شرح البخاري، وقد استشهد الإمام الحسين رضي الله عنه وهو صائم والله أعلم.

(فائدة)

قال الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتابه عرف التعريف بالمولد الشريف ما نصه:

قد رؤى أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين، وأمص من بين إصبعي ماء بقدر هذا وأشار لرأس إصبعه، وإن ذلك بإعتاقي لثويبه عندما بشرتني بولادة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- وبإرضاعها له([1]).

فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه؛ جوزي في النار بفرحة ليلة مولد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- فما حال المسلم الموحد من أمة - صلى الله عليه وآله وسلم- يسر بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته - صلى الله عليه وآله وسلم-؟! لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم.

(الفصل السادس عشر)

(حكم الاجتماع على الذكر)

س١- ما حكم الاجتماع على الذكر والحضرات التي يفعلها كثير من الناس؟

ج١- الاجتماع على ذلك سنة مطلوبة وقربة مندوبة؛ إذا لم يحتوِ على شيء من المحرمات كاختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات.

س٢- ما الدليل على استحباب ذلك مع رفع الصوت؟

ج٢- قد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث كثيرة في فضل الاجتماع على الذكر ورفع الصوت به منها:

- قوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم ([2]).

- وأخرج مسلم والترمذي أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما يجلسكم؟)، قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده، فقال: (إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة)([3]).

- وأخرج أحمد والطبراني مرفوعاً (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات) ([4]).

وفي الأحاديث المذكورة أوضح دليل على فضل الاجتماع على الذكر والخير والجلوس لذلك وأن الله يباهي بهم الملائكة.

ويدل على استحباب رفع الصوت بالذكر:

- ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (يقول الله أنا عند ظني عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه ج٥/ص١٩٦١/ح٤٨١٣، والنسائي في سننه ج٦/ص٩٤/ح٣٢٨٤، وغيرهما.

[2]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٠٧٤/ح٢٧٠٠، وابن حبان في صحيحه ج٣/ص٤٦/ح٧٦٨، والترمذي في سننه ج٥/ص٤٦٠/ح٣٣٧٨. وغيرهم.

[3]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٠٧٥/ح٢٧٠١. والنسائي في سننه ج٨/ص٢٤٩/ح٥٤٢٦. وابن حبان في صحيحه ج٣/ص٩٦/ح٨١

[4]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٠٧٤/ح٢٧٠٠، وابن حبان في صحيحه ج٣/ص٤٦/ح٧٦٨، والترمذي في سننه ج٥/ص٤٦٠/ح٣٣٧٨. وغيرهم.

ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)([1]). وذكر الملأ لا يكون إلا عن جهر، وروى البيهقي مرفوعاً: (أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراءون)([2])، وفي رواية: (حتى يقولوا مجنون)، ومن المعلوم أن ذلك إنما يقال عند الجهر دون الإسرار والله أعلم.

(فائدة)

قال العلماء العارفون نفعنا الله بهم:
قد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضي الإسرار به، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فليكن الذاكر مع ما يراه منهما أصلح لقلبه وأجمع لهمه.
وذكروا أيضاً أن الإسرار بالذكر أفضل لمن يخشى الرياء أو خشي التشويش بجهره على مصل ونحوه. فإن أمن ذلك كان الجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ويتعدى نفعه إلى الغير وهو أقوى في تأثر القلب وجمعيته، ولكل امرئ ما نوى، والمطلع على السرائر هو الله سبحانه وتعالى.

(الفصل السابع عشر)

---

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٠٦١/ح٢٦٧٥،
[2]) أخرجه ابن حبان في صحيحه ج٣/ص٩٩/ح٨١٧. والإمام أحمد في مسنده ج٣/ص٦٨/ ح١١٦٧١، ج٣/ص٧١/ح١١٦٩٢.والحاكم في مستدركه.

في الحث على محبة أهل البيت([1])
والتحذير من بغضهم([2]).

(تمهيد): اعلم أنه من المشهور المعلوم عند الخاص والعام أن محبة أهل بيته وذريته - صلى الله عليه وآله وسلم- فرض على كافة أهل الإسلام وقد ثبت في الآيات القرآنية والسنة النبوية الحث على محبتهم والأمر بمودتهم ودرج على ذلك أعلام الصحابة والتابعين وأئمة السلف المهتدين.

- فمن الآيات الدالة على وجوب محبتهم قوله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وآله وسلم-: (قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) [سورة الشورى: ٢٣]).

- وأخرج الإمام أحمد والطبراني والحاكم أنه عندما نزلت هذه الآية، قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: (علي وفاطمة وابناهما)([3]).

- وعن سعيد بن جبير رحمه الله في قوله تعالى: (إلا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى) قال: قربى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لهُ فِيهَا حُسْنًا) [سورة الشورى: ٢٣]. قال: الحسنة مودة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما الأحاديث:

- فقد أخرج ابن ماجه عن العباس بن عبد المطلب أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم والذي نفسي بيدي ما

---

[1]) آل البيت هم: السيد عبد المطلب وأولاده المؤمنين الذين تحرم عليهم الصدقة، وأما أهل البيت فهم الزوجات أمهات المؤمنين وأولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذريته وسيدنا علي كرم الله وجهه، وأما العترة فهم صلحاء الذرية، وأما (وعترتي أهل بيتي) فهم أصلح العترة المؤهلين للقيادة العامة للمسلمين ومنهم الأقطاب والله أعلم، ودليل دخول أمهات المؤمنين في أهل البيت: قوله تعالى: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (سورة هود: ٧٣)، وكلمة (وعليكم) تشمل الذكر والأنثى، ومن السنة:
أخرج البخاري في صحيحه ج ٤ / ١٧٩٩ عن أَنَسٍ رضي الله عنه قال: بُنِيَ على النبي صلى الله عليه وسلم بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلحْمٍ فَأُرْسِلتُ على الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ فَدَعَوْتُ حتى ما أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو فقلت: يا نَبِيَّ اللهِ ما أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ!، قال: (ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ) وَبَقِيَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ في البَيْتِ فَخَرَجَ النبي صلى الله عليه وسلم فَانْطَلَقَ إلى حُجْرَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها فقال: **(السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ)** فقالت: وَعَلَيْكَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ، بَارَكَ الله لك، فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِهِنَّ يقول لهُنَّ كما يقول لعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ له كما قالت عَائِشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثَلاثَةُ رَهْطٍ في البَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ وكان النبي صلى الله عليه وسلم شَدِيدَ الحَيَاءِ فَخَرَجَ مُنْطَلَقًا نحو حُجْرَةِ عَائِشَةَ فما أَدْرِي آخْبَرْتُهُ أو أُخْبِرَ أَنَّ القَوْمَ خَرَجُوا فَرَجَعَ حتى إذا وَضَعَ رِجْلَهُ في أُسْكُفَّةِ البَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأُنْزِلتْ آيَةُ الحِجَابِ.

[2]) من فضل الله تعالى علي أن وفقني لتأليف كتاب (مسند أهل البيت عند أهل السنة) مجلدان كبيران (م نور)

[3])أخرجه البخاري في صحيحه ج٣/ص١٢٨٩/ح٣٣٠٦، ج٤/ص١٨٢٠/ح٤٥٤١. وابن حبان في صحيحه ج١٤/ص١٥٨/ح٦٢٦٢. والترمذي في سننه ج٥/ص٣٧٧/ح٣٢٥١.

يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتي) ([1]).
- وفي رواية: (لا يؤمن عبد بي حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب أهل بيتي).
- وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي)([2]).
- وأخرج الديلمي أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم؛ وحب أهل بيته؛ وعلى قراءة القرآن)([3]).
- وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: آخر ما تكلم به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم-: (اخلفوني في أهل بيتي)([4]).
- وأخرج الطبراني وأبو الشيخ أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا دنياه)، قيل: ما هن؟ قال: (حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي)([5]).
- وأخرج البيهقي والديلمي أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه؛ وتكون عترتي أحب إليه من عترته؛ ويكون أهلي أحب إليه من أهله)([6]).
- وروى البخاري في صحيحه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: (يا أيها الناس ارقبوا محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم- في أهل بيته واحفظوه فيهم فلا تؤذوهم) وكان رضي الله عنه يقول: (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- أحب إليّ أن أصلها من قرابتي) ([7]).
- وفي (الشفاء) للقاضي عياض عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: (معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب)([8]).

---

[1]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٣/ص١٨/ح١١١٥٤، والحاكم في مستدركه ج٤/ص٨٥/ح٦٩٥٨. والطيالسي في مسنده ج١/ص٢٩٥/ح٢٢٢١. وأبي يعلى في مسنده ج٢/ ص٤٣٤/ح١٢٣٨. وعبد بن حميد في مسنده ج١/ص٣٠٤/ح٩٨٦.

[2]) أخرجه الترمذي في سننه ج ٥/ص ٦٦٤/ح ٣٧٨٩و الحاكم في مستدركه ج٣/ ص١٦٢/ ح٤٧١٦. والطبراني في معجمه الكبير ج٣/ص٤٦/ح٢٦٣٩، والإمام أحمد في فضائل الصحابة ج٢/ص٩٨٦/ح١٩٥٢.

[3]) انظر فيض القدير للمناوي فقال: أخرجه الطبراني وابن النجار والديلمي.

[4]) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ج ٤/ص ١٥٧/ح ٣٨٦٠.

[5]) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ج ٣/ص ١٢٦/ح ٢٨٨١. والطبراني في الأوسط.

[6]) رواه البيهقي في شعب الإيمان ج: ٢ ص: ١٨٩، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ج: ٥ ص: ١٥٤

[7]) أخرجه البخاري في صحيحه ج٣/ص١٣٦١/ح٣٥٠٩، ج٣/ص١٣٧٠/ح٣٥٤١. والإمام أحمد في فضائل الصحابة ج٢/ص٥٧٤/ح٩٧١.

[8]) انظر بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي - حديث آخر حديث رقم ٢٥١- ٢٥٤: عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: " أنشدكم الله وأهل بيتي، أنشدكم الله وأهل بيتي - ثلاثا - " قال: فقلنا لزيد بن أرقم: من أهل بيته ؟ قال: (آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس) وقال قائلون: آل الرجل ولده ونسله، وأنشد بعضهم للنابغة:

قعود على آل الوجيه ولاحق * يقيمون أولياءها بالمقاريع.**

في التحذير من بغضهم والتعرض لأذيتهم:

وأما ما ورد من الوعيد في بغضهم وعداوتهم فكثير فليحذر المسلم المشفق على دينه من بغض أحد من أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- فإن ذلك يضره في دينه وآخرته ويعد به مسيئاً إلى نبيه ومؤذياً له - صلى الله عليه وآله وسلم-.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله الأحاديث الواردة في أن من آذى أهل البيت فقد آذى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- ومن آذاه - صلى الله عليه وآله وسلم- فقد آذى الله واستحق اللعن والعذاب ودخل في خطر الوعيد الوارد في قوله تعالى:

(إِنَّ الذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولهُ لعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لهُمْ عَذَاباً مُهِيناً) [سورة الأحزاب:٥٧].

وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُول اللهِ) [سورة الأحزاب: ٥٣](١).

- وأخرج الطبراني والبيهقي أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال وهو على المنبر: (ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا من آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله زيد بن أرقم؛ لأنه جمع أهل بيته وولده؛ لأن آل علي ولده، فقوله صلى الله عليه وسلم: "معرفة آل محمد براءة من النار" يجوز أن يكون معرفة حق آل محمد، ومعرفة آل محمد بإيجاب حقهم؛ لأن المعرفة حكمها أن تعلم الشيء بالدليل والعلامة، سمعت أبا القاسم الحكيم رحمة الله عليه يقول: المعرفة معرفة الأشياء بصورتها وسماتها، والعلم علم الأشياء بحقائقها، فإذا كانت المعرفة على الشيء بصورته وسمته كان معرفة آل محمد بصورتهم وسمتهم، وسمتهم أنهم آل علي والعباس وجعفر وعقيل، وأنهم آل النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، فكان من عرفهم كأنما عرفهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن عرفهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجب أن يعرف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة والفضل على جميع الخلق، فإذا عرفه بذلك عرف وجوب حقه؛ لأن الله تعالى أوجب حقه، وألزم حرمته، وفرض طاعته، فإذا عرف ذلك عرف النبي صلى الله عليه وسلم، وعرف آله به، وعرف حرمتهم، وأوجب حقهم بحق النبي صلى الله عليه وسلم، ومن عرف حق النبي صلى الله عليه وسلم بما خصه الله به، وعرف ما أوجب الله عليه له من عظيم حرمته، وواجب حقه، وفرض طاعته أداه ذلك إلى القيام بما أوجبه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرائض الله عز وجل وسنته صلى الله عليه وسلم، ومن كان كذلك كان له براءة من النار، ومن قصر بواجبه فعلا، وصدق به عقدا وإقرارا، كانت براءة من الخلود في النار، فكأنه يقول: معرفة حق الله معرفة حقي، ومن عرف حقه عرف حق الله تعالى، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين رضي الله عنهما: "من أحبهما فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضهما فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله "، فكما كان حب آله حبه، وحبه حب الله، فكذلك معرفة آله معرفة حقه، ومعرفة حق الله، ومعرفة الله براءة من النار . وقوله صلى الله عليه وسلم: "حب آل محمد جواز على الصراط"؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصراط) انتهى من بحر الفوائد..

١) ذكر القاضي عياض في كتابه الشفا في تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه رُوي أن مالكاً رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان، ونال منه ما نال، وحُمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق، فقال: أُشهدكم أني جعلت ضاربي في حِلّ، فسئل بعد ذلك، فقال: خفت أن أموت، فألقى النبي صلى الله عليه وسلم، فأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي)٥١/٢ حاشية الشمني دار الفكر.

آذاني فقد آذى الله تعالى)([1]).
- وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (أنا حربٌ لمن حاربهم، وَسَلمٌ لمَن سالمهم)، يعني أهل بيته - صلى الله عليه وآله وسلم)([2]).
- وأخرج الملا في سيرته مرفوعاً: (لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي)([3]).
- وأخرج الطبراني والحاكم أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (لو أن رجلاً صفد بين الركن والمقام وصلى وصام، ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- دخل النار)([4]).
- وقال عليه الصلاة والسلام: (اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي) أخرجه الديلمي ([5]).

(فضائل أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم)([6])
واعلم أن الاتصال به - صلى الله عليه وآله وسلم- والانتساب من أعظم المفاخر وأشرف المآثر عند ذوي العقول والبصائر.

---

[1]) رواه الطبراني في المعجم الأوسط - باب العين - باب الميم من اسمه: محمد - حديث: ٦٢٩١- ٩٧١٤ عن عبد الله بن عمر قال: أنا لقعود بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ مرت امرأة، فقال بعض القوم: هذه بنت محمد، فقال أبو سفيان: إن مثل محمد في بني هاشم كمثل الريحانة، وسط النتن، أو قال: التبن، فانطلقت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فخرج ويعرف في وجهه الغضب، فقال: " ما بال أقوام يؤذونني في أهلي "، ثم قال: "إن الله خلق السماوات سبعا، فاختار العليا فسكَّنها، وأسكن سائر سماواته من شاء من خلقه، وخلق الأرضين سبعا، فاختار العليا وأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق، واختار من الخلق بني آدم، فاختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فلحبي أكرمهم، ومن أبغض العرب فلبغضي أبغضهم " وانظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج: ٧ ص: ٢٥٥، رواه محمد ابن إسحاق وابن منده، انظر الإصابة ج: ٧ ص: ٦٣٤ - ٦٣٥

[2]) أخرجه ابن حبان في صحيحه ج١٥/ص٤٣٥/ح٦٩٧٧. والترمذي في سننه ج٥/ص٦٩٩/ح٣٨٧٠. وابن ماجه في سننه ج١/ص٥٢/ح١٤٥. وابن حنبل في مسنده ج٢/ص٤٤٢/ح٩٦٩٦. والحاكم في مستدركه ج٣/ص١٦١/ح٤٧١٣.

[3]) مصنف ابن أبي شيبة ج: ٦ ص: ٣٧٢. كتاب الفضائل: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حديث: ٣١٤٧٦: عن سيدنا علي رضي الله عنه: " لا يحبنا منافق ولا يبغضنا مؤمن".

[4]) أخرجه الحاكم في مستدركه ج ٣/ص ١٦١/ح ٤٧١٢، والطبراني في معجمه الكبير ج١١/ص١٧٧/ح١١٤١٢. والطبراني في معجمه الصغير ج٢/ص٢٠٥/ح١٠٣٥. الدارقطني في سننه ج١/ص٢٣٠/ح٢.و ابن أبي شيبة في مصنفه ج٢/ص٥٦٦/ح٤٤٨١.

[5]) ذكره المناوي في فيض القدير ج: ١ ص: ٥١٥ وقال: أخرجه في الفردوس، وكذا أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري وفيه أبو إسرائيل الملائي قال الذهبي: ضعفوه ومن ثم رمز لضعفه.

[6]) من فضل الله أن تكرم علي بتأليف وطباعة (مسند أهل البيت) عند أهل السنة في مجلدين كبيرين ١٤٠٠ صفحة تقريباً نشر دار التراث الإسلامي القاهرة لصاحبها عبد الله حجاج يرحمه الله ويوزع في الكويت لدى مكتبة المنار الإسلامية. فله الحمد والمنة وأسأله القبول في الدنيا والآخرة.

وأن أصوله وفروعه - صلى الله عليه وآله وسلم- أشرف أصول وفروع لاتصال نسبهم بنسبه، وارتباط حسبهم بحسبه.

وقد اتفق العلماء رحمهم الله على أن السادة الأشراف أحسن الناس عنصراً من جهة الآباء والجدود وأنهم متساوون مع غيرهم في الأحكام الشرعية والحدود. وقد جاء في كثير من الآيات والأحاديث التصريح بفضائل أهل البيت وصحة انتسابهم لجدهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- ومن ذلك قوله تعالى:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)([1]) [سورة الشورى: ٣٣] الآية...

قال العلماء: قوله (أهل البيت) يشمل بيت السكنى، وأقاربه أهل بيت النسب وقد جاءت أحاديث تدل على ذلك منها:

- ما أخرجه الإمام أحمد([2]) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن هذه الآية نزلت في النبي - صلى الله عليه وسلم- وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

- وصح أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- جعل على هؤلاء كساء وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً).

- وفي رواية: (ألقى عليهم كساء ووضع يده عليهم)، وقال: (اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد)([3]).

ومن الآيات الدالة على فضلهم قوله تعالى:

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ العِلمِ فَقُل تَعَالوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَل لعْنَةَ اللهِ عَلى الكَاذِبِين) [سورة آل عمران: ٦١].

قال أهل التفسير: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفهما وقال: (اللهم هؤلاء أهلي).

وفي هذه الآية دليل صريح على أن أولاد فاطمة وذريتها يسمون أبناءه - صلى الله عليه وآله وسلم- وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة.

حكي أن هارون الرشيد سأل الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه فقال له: كيف قلتم نحن ذرية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- وأنتم بنو علي، وإنما ينسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه؟

فقال الكاظم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

(... وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِين

([1]) وقوله تعالى: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (هود:٧٣) وقوله تعالى: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآل إِبْرَاهِيمَ وَآل عِمْرَانَ عَلى العَالمِينَ) (آل عمران:٣٣).

([2]) أخرجه الترمذي في سننه ج٥/ص٣٥٢/ح٣٢٠٥، والحاكم في مستدركه ج٣/ص١٥٩/ ح٤٧٠٥. والطبراني في معجمه الكبير ج٣/ص٥٣/ح٢٦٦٢، والبيهقي في سننه الكبرى ج٢/ص١٥٠/ح٢٦٨٣. وغيرهم.

([3]) أخرجه الترمذي في سننه ج٥/ص٣٥٢/ح٣٢٠٥، ج٥/ص٦٦٣/ح٣٧٨. والحاكم في مستدركه ج٣/ص١٥٩/ح٤٧٠٥. والطبراني في معجمه الكبير ج٣/ص٥٣/ح٢٦٦٢، والبيهقي في سننه الكبرى ج٢/ص١٥٠/ح٢٦٨٣. والطبراني في معجمه الأوسط ج٢/ص٣٧١/ح٠

(٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) (الأنعام:٨٥)، وليس لعيسى أب، وإنما ألحق بذرية الأنبياء من قبل أمه. وكذلك ألحقنا بذرية نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم- من قبل أمنا فاطمة رضي الله عنها.

وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين نزول آية المباهلة، ولم يدع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- غير علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم. ذكرها في مجمع الأحباب.

وأما الأحاديث الواردة في فضائل أهل البيت ومزاياهم فهي كثيرة:

- أخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (النجوم أمان أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف)([1]).

- وفي رواية للإمام أحمد: (فإذ أهلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون).

- وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم لله تعالى بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم) ([2]).

- وأخرج الترمذي أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)([3]).

- وصح أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) ([4])

- وفي رواية: (هلك، ومثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له)([5]).

---

[1]) أخرجه الحاكم في مستدركه ج٣/ص١٦٢/ح٤٧١٥، ج٤/ص٨٥/ح٦٩٥٩. والطبراني في معجمه الكبير ج١١/ص١٩٧/ح١١٤٧٩. والإمام أحمد في فضائل الصحابة ج٢/ص٦٧١/ح١١٤٥. المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب المناقب- باب فضل أهل البيت - حديث: ٤٠٥٣- ٨٧٤١

[2]) قال الحاكم في مستدركه على الصحيحين ١٦٣/٣ – ح / ٤٧١٨: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم ومن مناقب أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديث: ٤٦٦٦

[3]) أخرجه الترمذي في سننه ج٥/ص٦٦٤/ح٣٧٨٨. والإمام أحمد في مسنده ج٣/ص١٤/ح١١١١٩.

[4]) أخرجه الحاكم في مستدركه ج٢/ص٣٧٣/ح٣٣١٢،ج٣/ص١٦٤/ح٤٧٢٠. والطبراني في معجمه الكبير ج٣/ص٤٥/ح٢٦٣٦، والطبراني في معجمه الصغير ج١/ص٢٤٠/ح٣٩١، والقضاعي في مسند الشهاب ج٢/ص٢٧٣/ح١٣٤، والإمام أحمد في فضائل الصحابة ج٢/ص٧٨٦/ح١٤٠٢.

[5]) رواه ابن حجر في المطالب العالية - كتاب المناقب - باب فضل أهل البيت - حديث: ٤٠٥٥- ٦٥٩٧: عن أبي الفضل أنه رأى أبا ذر قائماً على الباب وهو ينادي: يا أيها الناس، تعرفوني؟ من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة " وأخرجه

- وأخرج الديلمي أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وآل بيته)([1])، وللإمام الشافعي رضي الله عنه:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ** فرض من الله في القرآن أنزله**

كفاكم من عظيم القدر أنكم ** من لم يصل عليكم لا صلاة له**

قال بعض العلماء المحققين نفع الله بهم:

من أمعن النظر في الواقع والمشاهد وجد أهل البيت إلا من ندر، هم القائمون بوظائف الدين والدعوات إلى شريعة سيد المرسلين المتقون لربهم والمقتفون لجدهم يضعون القدم على القدم ومن يشابه أباه فما ظلم وعلماؤهم هم قادة الأمم والشموس التي تنجاب بها الظلم فهم بركة هذه الأمة الكاشفون عنها في غياهب الكون كل غمة فلابد وأن يوجد في كل عصر طائفة منهم يدفع الله بهم عن الناس البلاء فإنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء.

ألم يقل النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: (تعلموا منهم ولا تعلموهم، وإنكم حزب إبليس إذا خالفتموهم)([2]).

البزار من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي ذر، فذكر مثل حديث حنش.

ورواه الطبراني في المعجم الأوسط - باب العين باب الميم من اسمه: محمد - حديث: ٥٩٧٦- ١٢٥١٧: عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق . إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخل غفر له " لم يرو هذا الحديث عن أبي سلمة الصائغ إلا عبد الرحمن بن أبي حماد، تفرد به عبد العزيز بن محمد بن ربيعة " ورواه المعجم الصغير للطبراني - من اسمه محمد - حديث: ٨٢٦- ١٢٥١٧

[1]) رواه البيهقي في كتاب شعب الإيمان - الخامس عشر من شعب الإيمان وهو باب في تعظيم النبي ﷺ حديث: ١٥٣٤- ٢٠٩٥٦، عن علي ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء محجوب عن الله حتى يصلى على محمد، وعلى آل محمد" ورويناه من وجه آخر، عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك مرفوعا، وانظر كنز العمال رقم ٣٢١٥ وعزاه لأبي الشيخ عن علي رضي الله عنه.

[2]) أخرجه الحاكم في مستدركه ج٤/ص٨٥/ح٦٩٥٩. الطبراني في معجمه الكبير ج١١/ص١٩٧/ ح١١٤٧٩، وابن حنبل في فضائل الصحابة ج٢/ص٦٧١/ح١١٤٥. والطبراني في معجمه الأوسط ج١/ص٢٢٦/ح٧٤٣، ولفظ المعجم الكبير للطبراني - باب الزاي من اسمه زيد - زيد بن أرقم الأنصاري يكنى أبا عامر ويقال أبو أنيسة ويقال - أبو الطفيل عامر بن واثلة حديث: ٤٨٣٤- ٢٤٣٠١: عن زيد بن أرقم، قال: نزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجحفة، ثم أقبل على الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم قائلون ؟ " قالوا: نصحت قال: " أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن البعث بعد الموت حق" قالوا: نشهد، قال: فرفع يديه فوضعهما على صدره، ثم قال: " وأنا أشهد معكم " ثم قال: "ألا تسمعون؟ " قالوا: نعم، قال: "فإني فرطكم على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين؟ " فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: "كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا، والآخر: عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا

أما جاء عنه أن المتمسك بهم لا يضل أبداً، وأنهم لن يدخلوكم باب ضلالة، ولن يخرجوكم عن باب هدي؟ ألم يخبر أنهم أمان هذه الأمة وأن الله قد جعل فيهم الحكمة وأن من ناوأهم فهو عن دين الله مارق، ومن أبغضهم فهو بالنص منافق؟ وأخبر أنهم لن يفارقوا كتاب الله حتى يجمعهم شاطئ الحوض وإياه.

س١- ما معنى ما ورد في الحديث الصحيح أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا) ([1])؟ ونحو ذلك من الأحاديث؟

ج- قال العلماء نفع الله بهم: لا تعارض بين الحديث المذكور وبين الأحاديث الواردة في فضل أهل بيته - صلى الله عليه وآله وسلم- لأن معنى الحديث أنه - صلى الله عليه وآله وسلم- لا يملك لأحد من الله شيئاً، لا ضراً، ولا نفعاً، لكن الله يملكه نفع أقاربه بل جميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه عز وجل.

وكذا قوله - صلى الله عليه وآله وسلم- في رواية: (لا أغني عنكم من الله شيئاً) أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني الله به من شفاعة أو مغفرة من أجلي ونحو ذلك.

وقد أشار- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى حق رحمه لقوله في الحديث المذكور(غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها) رواه مسلم([2]).

ومعناه سأصلها بصلتها. فاقتضى مقام التخويف إلى خطابهم بذلك مع الإيماء إلى حق رحمه وقد صحت الأحاديث النبوية في أن نسبة أهل بيته إليه - صلى الله عليه وآله وسلم-، نافعة

علي الحوض، وسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم " ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: " من كنت أولى به من نفسي فعلي وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ". وهذا النص الأخير للتعريف بحب سيدنا علي ﷺ وليس فيه إثبات على توليته بالخلافة، وإلا فلماذا لم يستشهد بهذا الحديث سيدنا علي بل بايع سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما!!، ولو كان هناك نص إلهي في القرآن فلماذا لم يذكر اسم سيدنا علي ﷺ صراحة، وذكر اسم زيد، وسيدنا علي أفضل من زيد بالاتفاق!! ولو كان هناك نص إلهي بخلافة سيدنا علي ﷺ لأقامه الله تعالى ولنصره، للمزيد حول بيان هذه النقطة انظر لعلماء الشيعة (كتاب طريق الاتحاد) أو (تمحيص روايات النص على الأئمة) كتبه بالفارسية: الأستاذ حيدر علي قلمداران (القُمِّي) قدم له وعلق عليه آية الله العظمى العلامة السيد أبو الفضل البرقعي، ترجمه إلى العربية وهذَّبه وعلق حواشيه: سعد رستم. تجده في الشبكة العنقودية (الانترنت). وأما خديعة شيعة الكوفة الذين أرسلوا للإمام الحسين رضي الله عنه خمسة آلاف توقيع تعال نبايعك فقد ذكرها من مصادر أهل السنة كل من: **تاريخ الطبري ٣ / ٢٧٤ - ٢٧٨، تاريخ دمشق ١٤ / ٢١٢، البداية والنهاية ٨ / ١٢١ - ١٢٢، وأما من مصادر الشيعة فانظر كتاب: (من قتل الحسين) ففيه أقوالهم وإدانتهم لشيعتهم.**

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه ج٣/ص١٠١٢/ح٢٦٠٢، ج٤/ص١٧٨٨/ح٤٤٩٣. ومسلم في صحيحه ج١/ص١٩٢/ح٢٠٤، والنسائي في سننه ج٦/ص٢٤٨/ح٣٦٤٤. وغيرهم..

[2]) عن أبي هريرة؛ قال: لما أنزلت هذه الآية: (وأنذر عشيرتك الأقربين) [٢٦/الشعراء / الآية - ٢١٤] دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً. فاجتمعوا، فَعَمَّ وخَصَّ، فقال: " يا بني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب ! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف ! أنقذوا من النار . يا بني هاشم ! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة ! أنقذي نفسك من النار . فإني لا أملك لكم من الله شيئاً. غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها " رواه مسلم برقم204

لهم في الدنيا والآخرة. فمن ذلك:
- ما أخرجه أحمد والحاكم أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (فاطمة بضعة مني، يغضبني ما يغضبها، ويبسطني ما يبسطها، وأن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وحسبي وصهري)([1]).
- وأخرج الحاكم عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: (وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالله تعالى بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم).
وفي فتاوى الإمام العلامة خاتمة المحققين أحمد بن حجر رحمه الله وقد سئل: هل الشريف الجاهل أم العالم أفضل؟ وأيهما أحق بالتوقير إذا اجتمعا؟ وأريد تفريق نحو قهوة عليهما فأيهما أولى بالبداية أو أراد شخص التقبيل فأيهما يبدأ به؟.
فأجاب رضي الله عنه بقوله: في كل منهما فضل عظيم، أما الشريف فلما فيه من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء، ومن ثم قال بعض العلماء: لا أعادل بضعته - صلى الله عليه وآله وسلم- أحداً.
وأما العالم العامل فلما فيه من نفع المسلمين وهداية الضالين فهم خلفاء الرسل ووارثو علومهم ومعارفهم. فيقين على الموفق أن يرى للكل من الأشراف والعلماء حقهم من التوقير والتعظيم، والمبدأ به إذا اجتمعا الشريف لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (قدموا قريشاً)([2])، ولما فيه من البضعة الشريفة، والمراد بالشريف المنسوب إلى الحسن والحسين

---

[1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص١٩٠٣/ح٢٤٤٩، والبخاري في صحيحه ج٣/ ص١٣٦٥/ ح٣٥٢٣. وغيرهما.
تفضيل أبو مسلم الخولاني لسيدنا علي أمام سيدنا معاوية رضي الله عنهم وقوله الحق أمامه:
ففي صحيح ابن حبان- كتاب البر والإحسان- باب الصحبة والمجالسة - ذكر إيجاب محبة الله جل وعلا للمتجالسين فيه- حديث:٥٧٦
أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري، قال: حدثنا أحمد بن أبي بكر، عن مالك، عن أبي حازم بن دينار، عن أبي إدريس الخولاني، أنه قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا، وإذا الناس معه، إذا اختلفوا في شيء، أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان الغد، هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه وقلت: والله إني لأحبك لله، فقال: آلله؟ قلت: آلله، فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في "،
قال أبو حاتم رضي الله عنه: أبو إدريس الخولاني اسمه عائذ الله بن عبد الله، كان سيد قراء أهل الشام في زمانه، وهو الذي أنكر على معاوية محاربته علي بن أبي طالب حين، قال له: من أنت حتى تقاتل عليا، وتنازعه الخلافة، ولست أنت مثله، لست زوج فاطمة ولا بأبي الحسن والحسين ولا بابن عم النبي صلى الله عليه وسلم فأشفق معاوية أن يفسد قلوب قراء الشام، فقال له: إنما أطلب دم عثمان، قال: فليس علي قاتله، قال: لكنه يمنع قاتله عن أن يقتص منه، قال: اصبر حتى آتيه، فأستخبره الحال، فأتى عليا وسلم عليه، ثم، قال له: من قتل عثمان ؟، قال: الله قتله وأنا معه، عنى: وأنا معه مقتول، وقيل: أراد الله قتله، وأنا حاربته، فجمع جماعة قراء الشام وحثهم على القتال.

[2]) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار - من توقى رواية أهل العراق حديث: ٤٤٨٩٣١ عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قدموا قريشا ولا تقدموها، وتعلموا منها ولا

رضي الله عنهما، وآل بيتهما السلام والله سبحانه وتعالى أعلم.

(نفع الانتساب إليه -صلى الله عليه وآله وسلم)

قد صحت الأحاديث في أن النسب إليه - صلى الله عليه وآله وسلم- نافعة في الدنيا والآخرة فمن ذلك:

قوله: صلى الله عليه وآله وسلم: (كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري)([1]).رواه ابن عساكر عن عمر ابن الخطاب ﷺ.

فهذا الحديث ونحوه يدل على عظيم نفع الانتساب إليه - صلى الله عليه وآله وسلم-.

قال العلماء: ولا يعارض ذلك ما في أخبار أُخر من حثه - صلى الله عليه وآله وسلم- لأهل بيته على خشية الله واتقائه وطاعته وأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً، لأنه لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، ولكن الله تعالى يُملكه نفع أقاربه فقوله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (لا أغني عنكم شيئاً): أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني الله به من نحو شفاعة ومغفرة، فخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف به.

- كما أخرج البزار والطبراني وغيرهم من حديث طويل: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-: (ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع، ألا إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي، وإن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة) ([2]).

- وروى الإمام أحمد والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- يقول على المنبر: (ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- لا تنفع قومه يوم القيامة، بلى والله، إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة،

تعالموها أو تعلموها " شك ابن أبي فديك، ورواه البيهقي في السنن الصغير، وفي السنة لأبي عاصم وحلية الأولياء لأبي نعيم وفي فضائل الصحابة للإمام أحمد، ورواه الشافعي في مسنده.

[1]) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط باب العين ج٤/ص٢٥٧/ح٠.

وفي كتاب الشريعة للآجري- كتاب جامع فضائل أهل البيت رضي الله عنهم باب ذكر قول الله عز وجل: وتقطعت بهم الأسباب - حديث: ١٦٦٥- ٢١٤٤٢: عن عطاء الخراساني ، أنه قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى علي رضي الله عنه أم كلثوم ابنته ، وهي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال علي: إنها صغيرة ، فقال عمر: وإن كانت صغيرة، فقال علي رضي الله عنه: فإني حبستها على ابن أخي جعفر!، فقال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **إن كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة، إلا نسبي وصهري** " فلذلك رغبت فيها. فقال له علي: فإني مرسلها إليك، هل تنظر إلى صغرها؟ فأرسلها إليه فجاءته، فقالت: إن أبي يقول لك: هل رضيت الحلة؟ فقال عمر: قد رضيتها. فأنكحه علي رضي الله عنهما، فأصدقها عمر أربعين ألفا. ورواه الزهري في حديثه رقم ٣٥٩ ورواه تمام في فوائده من أحاديث جناح بن عباد مولى الوليد بن عبد الملك رواية حديث: ١٤٨٦.

[2]) أخرجه الحاكم في مستدركه ج٣/ص١٧٩/ح٤٧٧٠. والطبراني في معجمه الكبير ج٣/ص٤٤/ح٢٦٣١، والإمام أحمد في فضائل الصحابة ج٢/ص٦٢٦/ح١٠٦٩. ألم يعد الله تعالى نبيه بعدم خذلانه يوم القيامة ومن آمن معه وفي طليعة المؤمنين ذريته المباركة بقوله: (..يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لنَا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التحريم:٨)

وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض)([1]).

[1]) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٣/ص١٨/ح١١١٥٤، والحاكم في مستدركه ج٤/ص٨٥/ح٦٩٥٨. والطيالسي في مسنده ج١/ص٢٩٥/ح٢٢٢١. وأبي يعلى في مسنده ج٢/ص٤٣٤/ح١٢٣٨. وعبد بن حميد في مسنده ج١/ص٣٠٤/ح٩٨٦.

خاتمة

هذا ما جرى تدوينه من المؤلف جزاه الله تعالى الأجر والثواب، وتحقيقه ونشره مني، والحمد لله الكريم الذي بفضله تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

وكتبه الفقير إلى مولاه

يوسف بن السيد هاشم الرفاعي (عفا الله تعالى عنه) ([1]).

في ٢٧ من المحرم سنة ١٤١٥هـ.-الموافق ١٩٩٤/٧/٦

بمدينة الكويت حرسها الله تعالى وسائر بلاد المسلمين.

[1]) الدكتور السيد يوسف الرفاعي رحمه الله تعالى هو الشريف الحسيب الداعية الذي كان أمة وحده في الدعوة، قاضي حاجات المحبين والقاصدين والمحتاجين فاتح بنغلادش بالمشاريع الخيرية ومن أوائل المحتفلين بالمناسبات النبوية في الكويت والذي غمرني بعطفه وحبه، والذي كان لا يرضى ذكر خصومه بسوء في مجسله، والذي توفي مساء الجمعة ليلة السبت ١٤ من شهر رجب من سنة ١٤٣٩هجرية والموافق ٣١ من شهر مارس سنة ٢٠١٨ ميلادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

مداخلة المعد: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

الحمد لله الذي جعل للحق رجالاً من أهل بيت نبيه المختار يبينون للأمة أمور دينها، والصلاة والسلام على الهادي البشير العدنان، وبعد:

فقد طلب مني سيدنا وابن سيدنا الحسيب الأريب فضيلة الداعية الشيخ الدكتور السيد يوسف الرفاعي حفظه الله في صحة وعافية، أن أعتني بتخريج أحاديث الرسالة المسماة (مسائل كثر حولها النقاش والجدل) باختصار، فوجدت الرسالة على شدة اختصارها([1])، قيمة نافعة جداً للكبار والصغار، فهي واضحة المعالم والمفاهيم، تمتاز بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والعلماء، وتتجمل بالأدب في العرض والحوار.

ولا بد لي من تعريف الشباب المسلم عن صفات السيد يوسف الرفاعي –حفظه الله- إذ إنه من سلالة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه ساهم في تحريم الخمر في الكويت عندما كان نائباً في مجلس الأمة منذ أربعين سنة، وما زال تحريم الخمر قائماً في الكويت ولله الحمد والمنة، وله مساهمات كثيرة في العالم الإسلامي، فقد حثّ السيد يوسف في أحد المؤتمرات رئيس باكستان الأسبق ذو الفقار علي بوتو على تحريم الخمر، وعدم الاختلاط، وإعادة عطلة يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد في باكستان، فاستجاب له، وتلك من مناقبه في الدعوة، إذ ليس من السهل قبول الرؤساء نصح الدعاة.

ولدى السيد يوسُف (رحمه الله) في الكويت معهد الإيمان الشرعي –للمرحلة المتوسطة والثانوية- يستقبل الطلاب الفقراء بالمجان، وقام ببناء أكثر من عشرين مشروعاً خيرياً في بنغلادش، فهو مختص ببناء المشاريع الخيرية في بنغلادش، ويشارك في عدد من المراكز الإسلامية العالمية، ويؤثر العمل الصامت الهادئ، وديوانه يغص بالمحتاجين، فيكرم الجميع، ويرحب بالداخلين عليه، ويوزع المواد التموينية على الفقراء بعد ظهر كل يوم اثنين، ويقيم مجلس الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ديوانه بعد صلاة العشاء من كل يوم خميس حسب السنة النبوية والقواعد الشرعية، ويحضره عدد من أساتذة كلية الشريعة من حملة الدكتوراة وغيرها؛ ويحضره الأحباب من مختلف أقطار العالم الإسلامي الذين يزورون الكويت أو الذين يعملون فيها، كما أنه لا ينسى الدعاء لمخالفيه بالهداية، رغم إساءتهم له.

وقفات مع الواقع المعاصر:

١- إني أدعو الشباب المسلم أن يستفيد من هذه الرسالة القيمة ويكف عن الخصام في الجدل، ويلتفت إلى ما هو أفيد له وللأمة، وخاصة في هذه الأوقات العصيبة، إذ يكفي أن يعلم القارئ أن أفكار هذه الرسالة هي ما يدين عليه السواد الأعظم من المسلمين سلفاً وخلفاً في أرجاء المعمورة ما عدا بعض المناطق من دول الخليج العربي.

٢- الاختلاف في الرأي والاجتهاد ووحدة القلوب:

القارئ يعلم أن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اختلفوا في كثير من المسائل، أفلا يسعنا اختلافهم!!، بل واقتتل الصحابة رضوان الله عليهم، فلم يضلل أحد أحداً، ولم يكفر بعضهم بعضاً، فكان من حكمة ذلك ظهور ومعرفة فقه البغاة، الذي أظهره الله تعالى على يد الإمام الخليفة الراشد الرابع الفقيه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن الباغي

---

[1]) ومن أراد التوسع والمزيد فعليه بكتاب (الفتاوى الحديثية) للفقيه الشافعي ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى.

يبقى مؤمناً بنص الآية الكريمة: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ..) (الحجرات:٩)([1]) فالطائفتان مؤمنتان اقتتلتا، وتابع الأئمة اجتهاداتهم واختلافهم في الاجتهاد فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله له أكثر من قول في أغلب اجتهاداته، فلم يمنع كثرة آرائه في المسألة الواحدة، من قولها، ومن قبول الأمة لها، فكثرة الرأي ليست من الضلال وإنما من الاجتهاد الحسن، ما دام يستند إلى دليل من الكتاب والسنة ويحتمله النص.

قال ابن عبد البر([2]): وروينا من وجوه أنه لما احتضر قال الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما: يا أخي إن أباك استشرف لهذا الأمر، فصرف الله عنه ووليها أبو بكر، ثم استشرف لها وصرفت عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلم قتل عثمان بويع علي، ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخلفك سفهاء الكوفة فأخرجوك، وقد كنت طلبت من عائشة -رضي الله عنها- أن أدفن مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم -فقالت :نعم، فإذا مت فاطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم فلما مات أتى الحسين إلى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها -فقالت :نعم وكرامة، فمنعهم مروان، فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة، ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضي الله عنها.

أما الاختلاف المذموم فهو الذي يورث البغضاء والتباعد والتنازع مما يؤدي للفشل، والذي منه الحاصل الآن للعالم الإسلامي، وصدق الله إذ يقول: (وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)(الأنفال:٤٦) فتنازعنا.. ففشلنا ...فذهبت ريحنا... ولا نعتبر... بل نصر...ونستكبر...ونزعم أننا رجال مثل أولئك!!!...

٣- ليحذر الشباب المسلم المتحمس من اتباع منهج الخوارج :

فقد كانوا صوامين قوامين أتقياء صلحاء، فمن شدة عبادتهم لله تعالى لم يتصوروا مسلماً يرتكب الكبيرة، لذلك قالوا بكفر مرتكب الكبيرة، ثم خرجوا على سيدنا علي كرم الله وجهه لأنه قبل التحكيم، وقالوا كما يقول الشباب المتحمس اليوم: (..إِنِ الحُكْمُ إِلا للهِ ...) (الأنعام:٥٧) آية حق أريد بها باطل، فضلوا وأضلوا، مما دعا سيدنا علياً كرم الله وجهه أن يرسل لهم الإمام الصحابي حبر الأمة وترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما([3]) فحاججهم بقوله تعالى: (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ) (سورة المائدة: من الآية ٤٢) وقوله: (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ) (سورة المائدة: من الآية ٤٨) وقوله: (إِذْ دَخَلُوا عَلى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) (سورة ص: ٢٢) وقوله: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ) (سورة ص: ٢٦) وقوله: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

---

[1]) هناك فرق بين الإخوة والإخوان فالإخوة يقتتلون كما وضحته الآية، أما الإخوان فلا يقتتلون لقوله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) (سورة الحِجْر: ٤٧)، ولذا كانت أعمال القلوب كلها فروضاً أو محرمات، أما أعمال الجوارح فمتغيرة بين السنة والفرض والله أعلم.

[2]) الخلفاء الراشدين للإمام السيوطي، ت: حمدي الدمرداش محمد- نشر مكتبة نزار مصطفى الباز ص ٤٨.

[3]) هذا هو المنهج القويم السديد في محاربة الفكر المتطرف ألا وهو الحوار العلني معهم، وعدم تركهم في سريتهم لكي لا يخربوا عقول الشباب والناشئة في السر.

فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا) (النساء:٣٥) وأن الله سمى البشر (حَكَمَاً) يحكمون بأمره ونهيه، فرجع بأكثر من نصفهم، وأصر الباقون على معتقداتهم، ثم قاتل الباقون سيدنا علياً كرم الله وجهه الذي كان بالأمس إمامهم، فأصبح الآن عدوهم، فأمر سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه أتباعه: بألا يبدؤوهم بقتال حتى يقتلوا واحداً منهم، فيثبت عدوانهم وبغيهم، وانتهى الأمر بالقضاء عليهم وصلى عليهم مع أصحابه ومنع توزيع فيئهم قائلاً لأصحابه: إخواننا بغوا علينا، ومنع سبي نسائهم، ومنع قتل مدبرهم، ومنع تذفيف جراحهم، كل هذا الفقه ظهر من سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه وأرضاه ورضي الله عن ولديه الطاهرين سيدا شباب أهل الجنة الإمام الحسن والإمام الحسين اللذين أوقفهما والدهما على باب الخليفة الراشد الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهم للدفاع عنه من الأوباش القتلة الانقلابيين على الخليفة الراشد الثالث.

وأخرج البيهقي وابن عساكر(١) من طريق أبي المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال: أضاق الحسن بن علي(رضي الله عنهما)، وكان عطاؤه في كل سنة مئة ألف، فحبسها عنه معاوية(رضي الله عنه) في إحدى السنين؛ فأضاق إضاقة شديدة.

قال: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره بنفسي، ثم أمسكت، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير يا أبه. وشكوت إليه تأخر المال عني، فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك؟!، قلت: نعم يا رسول الله فكيف أصنع؟. قال: **(اللهم اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمن سواك؛ حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم وما ضعفت عنه قوتي، وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين، فخصني به يا رب العالمين).**

قال: فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إلي معاوية بألف ألف وخمس مئة ألف. فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه.

فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال: يا حسن كيف أنت ؟ فقلت: بخير يا رسول الله وحدثته حديثي. فقال: يا بني، هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق.

وقد روى الترمذي قطعة من هذا الدعاء بما معناه وهي:

---

١) تاريخ الخلفاء - السيوطي -الكتاب: تاريخ الخلفاء-المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الناشر: مطبعة السعادة – مصر-الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م-تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.-، وقال الشيخ/ عبدالرحمن السحيم عضو مكتب الدعوة والإرشاد(في موقعه منتدى الارشاء للفتاوى الشرعية)https://al-ershaad.net/vb4/showthread.php?t=4349) قد رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق، وإسنادها فيه ضعف، فإن ابن عساكر قال: وقرأت في كتاب دفعه إليّ أبو بكر عتيق بن علي بن أحمد - أظنه مِن كُتب محمد بن يحيى الصولي - نا المبرد في - إسناد ذكره - أن الحسن بن علي كان يَفِد كل سنة إلى معاوية فيَصله بمائة ألف درهم .. وذَكَر القصة، ومع ذلك فهي حكاية رؤيا، والرؤى لا يُعوّل عليها، ولا يُبنى عليها أحكام والله تعالى أعلم .

وذكر القصة الهيتمي ت ٩٢٧ في الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ص٢١٥.

اللهم ما قصر عنه رأيي، ولم تبلغه نيتي، ولم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحدا من خلقك، أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك، فإني أرغب إليك فيه، وأسألكه برحمتك رب العالمين،

٤- إن أخطر قضية في الساحة اليوم هي تكفير المخالف المتجه للقبلة([1]):

المقيم للصلاة.. المؤدي للزكاة وللحج، الذابح حسب الشرع الآكل لذبيحتنا..، الذاكر لله تعالى كثيراً، وقد وضع العلماء عدة قواعد في ضبط التكفير منها: لازم الكفر ليس بكافر، وناقل الكفر ليس بكافر، ولا نكفر بتأويل يحتمله النص، ومن صور الله في عقله فقد كفر لأن كل ما خطر ببالك فهو هالك، والله بخلاف ذلك، وكفر من أنكر من المعلوم من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة والحج والحجاب والخمر والربا وغيرهم والله أعلم، ولأن التكفير يستلزم أموراً كثيرة: نحو طلاق الزوجة المؤمنة المحجبة التقية([2])، ولا يورث مؤمن كافراً أو

---

[1]) قال الإمام الذهبي رحمه الله: (رأيت للأشعري كلمة أعجبتني، وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العبدري، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري في بغداد، دعاني، فأتيته، فقال: اشهد علي أني لا أكفر أحداً من أهل هذه القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا اختلاف في العبارات، قلت: (أي الذهبي) وبنحو هذا أدين.). سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٨٨/١٥

[2]) بل قال ابن قدامة في المغني ٤٤٦/٢: بعد إيراده قول النبي عليه الصلاة والسلام: (صلوا على كل من قال لا إله إلا الله) أخرجه الخلال في جامعه قال ابن قدامة الحنبلي: (ولأن ذلك إجماع المسلمين، فإننا لا نعلم في عصر من الإعصار أحداً من تاركي الصلاة ترك تغسيله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، ولا منع ورثته ميراثه، ولا منع هو ميراث مورثه، ولا فُرِّق بين زوجين لترك الصلاة مع أحدهما، لكثرة تاركي الصلاة، ولو كان كافراً لثبتت هذه الأحكام كلها، ولا نعلم بين المسلمين خلافاً في أن تارك الصلاة يجب عليه قضاؤها، ولو كان مرتداً لم يجب عليه قضاء صلاة ولا صيام، وأما الأحاديث المتقدمة فهي على سبيل التغليظ، والتشبيه له بالكفار لا على الحقيقة، كقوله عليه السلام:

- (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)،
- وقوله: (كفر بالله، تبرؤ من نسب وإن دق)،
- وقوله: (من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد).
- وقوله: (ومن قال: مطرنا بنوء الكواكب فهو كافر بالله مؤمن بالكواكب).
- وقوله: (من حلف بغير الله فقد أشرك).
- وقوله: (شارب الخمر كعابد وثن.).

وأشباه هذا مما أريد به التشديد في الوعيد، وهو أصوب القولين) انتهى من المغني. قال محمد نور عفا الله عنه: ولو حمل الحديث: (سباب المسلم وقتاله كفر) على ظاهره لكفر الصحابة رضوان الله عليهم، الذين اقتتلوا فيما بينهم، وهو مما لا يقوله أي سني، وإنما هو قول المبتدعة، والله أعلم.

ويزيد تأكيد ما ذكر ما ورد في صحيح البخاري ٥٩١٣ حدثنا عُمَرُ بن حَفْصٍ حدثنا أبي حدثنا الأَعْمَشُ حدثنا زَيْدُ بن وَهْبٍ حدثنا والله أبو ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ قال: كنت أَمْشِي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حَرَّةِ المَدِينَةِ عِشَاءً اسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ فقال: (يا أَبَا ذَرٍّ ما أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا لي ذَهَبًا يَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةٌ أو ثَلَاثٌ عِنْدِي منه دِينَارٌ إلا أَرْصُدُهُ لدَيْنٍ إلا أَنْ أَقُول بِهِ في عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا) وَأَرَانَا بيده ثُمَّ قال: (يا أَبَا ذَرٍّ!)، قلت: لبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يا رَسُول اللهِ! قال: (الأَكْثَرُونَ هُمْ الأَقَلُّونَ إلا من قال هَكَذَا وَهَكَذَا)، ثُمَّ قال لي: (مَكَانَكَ لا تَبْرَحْ يا أَبَا ذَرٍّ حتى أَرْجِعَ)، فَانْطَلَقَ حتى غَابَ عَنِّي فَسَمِعْتُ صَوْتًا فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عُرِضَ لرَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَرَدْتُ أَنْ أَذْهَبَ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْل رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: (لا تَبْرَحْ) فَمَكُثْتُ قلت: يا رَسُول اللهِ سمعت صَوْتًا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عُرِضَ لك ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَكَ فَقُمْتُ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي

بالعكس، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، لذا وجب التريث في التكفير لأن دليل التكفير يجب أن يكون مئة في المئة واضحاً جلياً، فإذا وقع الشك فلا تكفير لأن الله تعالى يسأل المكفرة: لماذا كفرت فلاناً، ولا يسأل العبد لماذا لم تكفر فلاناً مادام يشهد الشهادتين، ولأن مهمة الداعية إلى الله تعالى تثبيت الإيمان في قلب المسلم وليست لإخراج المسلم من دين الإسلام والعياذ بالله تعالى كما يفعله البعض.

٥- كما لا يجوز تمييع مصطلح الكفر والطعن فيه لأنه مصطلح قرآني:

فلا يجوز السخرية منه أو التقليل من شأنه، أو إلغاؤه أو إقصاؤه بحجج واهية، فمن كَفَّره القرآن فهو كافر إلى يوم القيامة كاليهود والنصارى والمشركين وغيرهم.

وإنني أدعو لمقاضاة كل من يكفر مسلماً، ويتهم بالشرك مؤمناً، لأن الله تعالى يقول: (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) (سورة النساء: ٤٨)

٦- ومن مشكلات هذا العصر كذلك: تحويل القضايا الفقهية واختلافها، إلى قضايا عقدية تؤدي إلى تكفير المخالف في الرأي:

فتحصل مصيبة المصائب للأمة الإسلامية، نحو الصلاة باتجاه القبر، ونسي المخالف أن أول من فعل ذلك سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام:

أسند ابن عبد البر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كانت تنقي المسجد من الأذى ثم ماتت فدفنت ولم يؤذن النبي عليه السلام، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (دلوني على قبرها)، فانطلق إلى القبر فأتى على القبور فقال: (إن هذه القبور ممتلئة على أهلها ظلمة وإن الله ينورها بصلاتي عليها)، ثم أتى القبر فصلى عليها، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله إن أبي أو أخي مات وقد دفن فصل عليه يا رسول الله!، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأنصاري)([1]).

ثم صلاة سيدتنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقد صلت في غرفتها التي دفن فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم أضيف قبر أبيها سيدنا أبي بكر ثم أضيف قبر سيدنا عمر رضي الله عنهم، فيستحيل تكفير من فعل ذلك أو تضليله أو تبديعه!!!.

٧- ومن القضايا المهمة والخطيرة كذلك هي تجريد الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مما وهبه الله تعالى من العطايا الربانية القرآنية التي خصه بها:

واعتبار ذلك فقط في حياته البشرية وتجريده منها في حياته البرزخية، وبالتالي تعطيل كثير من الآيات القرآنية، وتوقيف عمل دولة الرسول عليه الصلاة والسلام، والعياذ بالله، وأول من ضل وابتدع ذلك فكفر بتمييزه بين حياة الرسول وموته هم مانعوا الزكاة الذين أنكروا دفع الزكاة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، وانقلبوا على أعقابهم، فقالوا ندفع الزكاة للرسول عندما كان حياً ولا ندفعها بعد وفاته، فانقلبوا على أعقابهم كما أخبر الله تعالى: [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ] (آل عمران:١٤٤) فقاتلهم عليها سيدنا أبو بكر ومعه الصحابة رضي الله عنهم، فالذين يميزون بين جواز الفعل في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ويحرمونه بعد وفاته، إنما يوقفون العمل بتلك الآيات القرآنية، ويتبعون منهج مانعي الزكاة وهم ممن انقلبوا على أعقابهم كما نصت الآية الكريمة السابقة

فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ من مَاتَ من أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللهِ شيئا دخل الجَنَّةَ)، قلت: يا رَسُول اللهِ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قال: (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ) صحيح البخاري ٥ /٢٣١٢ تحقيق البغا.

[1]) التمهيد لابن عبد البر ج ٦ ص ٢٦٥- ٢٦٦، ورواه أبو داود الطيالسي، والبيهقي في سننه.

والعياذ بالله تعالى.
ويكفي تشهّد المؤمن في الصلاة قوله: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) كما رواها البخاري في صحيحه باب الصلاة([1])، فهل يخاطب المصلي في الصلاة الميت؟!!!بل إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما يزور مقبرة البقيع يقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون ونحن اللاحقون، فهل يخاطب الرسول عدماً أم أحياء في قبورهم حياة برزخية؟!! وهل انتفت صفة الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بانتقاله ووفاته، حتى نميز بين حياته وبعد موته؟!!!. معاذ الله، وهل معنى الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) إلا اليقين الكامل الذي لا ريب فيه؟!، كأن يقينه مثل حالة المشاهد بأم عينيه؟!!، فهل نطقهما إلا تأكيد استمرار حياته البرزخية الخاصة به عليه الصلاة والسلام!!.

٨- إن حرمان الناس من بركات الرسول عليه الصلاة والسلام([2]):

---

[1]) من المعلوم أن فقه الإمام البخاري رحمه الله في عناوينه ففي الجامع الصحيح للإمام البخاري ج ١/ ٢٨٦، بَاب التَّشَهُّدِ في الآخِرَةِ:
٧٩٧ حدثنا أبو نُعَيْمٍ قال حدثنا الأَعْمَشُ عن شَقِيقِ بن سَلَمَةَ قال قال عبد اللهِ كنا إذا صَلَيْنَا خَلْفَ النبي صلى الله عليه وسلم قُلنَا السَّلَامُ على جِبْرِيل وَمِيكَائِيل السَّلَامُ على فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَالتَفَتَ إلَيْنَا رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: (إنَّ اللهَ هو السَّلَامُ فإذا صلى أحدكم فَلْيَقُل: التَّحِيَّاتُ لِلهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النبي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إذا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُل عَبْدٍ لِلهِ صَالِحٍ في السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).وأورد البخاري هذه الصيغة في عدة مواطن فهذه الصيغة التي تقال في الصلاة بإجماع المذاهب الفقهية، وأما ما فعله البعض من التهرب من صيغة الخطاب (السلام عليك أيها النبي) إلى صيغة الضمير الغائب (السلام على النبي) بحجة أنها في صحيح البخاري وهو يتبع السنة، فجوابه: إن صيغة الضمير الغائب أوردها البخاري في صحيحه في غير باب الصلاة، أي يكون الزاعم قد خالف البخاري في فقهه، وخالف فقه المذاهب الفقهية السنية المتبعة. والله أعلم.
وأورد ابن حجر في (فتح الباري) العلة والحكمة من ذلك فقال رحمه الله: ومعنى قولنا السلام عليك: الدعاء أي سلمت من المكاره، وقيل معناه اسم السلام عليك كأنه تبرك عليه باسم الله تعالى، فإن قيل كيف شرع هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع كونه منهيا عنه في الصلاة؟ فالجواب: أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم، فإن قيل: ما الحكمة في العدول عن الغيبة إلى الخطاب في قوله عليك أيها النبي مع أن لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كأن يقول: السلام على النبي فينتقل من تحية الله إلى تحية النبي ثم إلى تحية النفس ثم إلى الصالحين؟، أجاب الطيبي بما محصله: نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي كان علمه الصحابة، ويحتمل أن يقال على طريق أهل العرفان: إن المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات أذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت أعينهم بالمناجاة فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة متابعته فالتفتوا فإذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر فأقبلوا عليه قائلين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته أهـ. فتح الباري ج ٢ ص ٣١٤ تحقيق: محب الدين الخطيب.

[2]) نحو الاستشفاء بماء غسيل جبة الرسول عليه الصلاة والسلام كما ورد في قول أسماء رضي الله عنها لعبد الله مولى أسماء - وكان خال ولد عطاء-: هذه جُبَّةُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْرَجَتْ إلي جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ لها لِبْنَةُ دِيبَاجٍ وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ فقالت: هذه كانت عِنْدَ عَائِشَةَ حتى قُبِضَتْ فلما قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلمَرْضَى يُسْتَشْفَى بها) وهذا لفظ مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٦٤١

نحو تسمية مدينته بالمدينة النبوية وإلغاء كلمة المنورة، مخالف لما جرت عليه القرون الإسلامية وتعقيب عليهم، وأين فضل المدينة المنورة؟!!، إنها تنورت وفضلت بفضله ﷺ، أليس الله تعالى وصف رسوله ﷺ بأنه نور فقال سبحانه: (يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (سورة المائدة: ١٥)، وأغلب المفسرين على أن النور هو الرسول ﷺ والكتاب هو القرآن.

٩- إن حرمان البركة النبوية يعني بقاء دولة الشياطين والجن تعمل في قلوب وأفكار الناس:

مما أدى لانتشار المشعوذين في الفضائيات وغيرها، وانتشار الكتب التي تعالج مس الجن والشياطين، وضعفت الثقة بالنفس للخواء الروحي، وانهارت العقول تبحث عن مخلص لها من الغرب والشرق، وانتشرت الأغاني باسم الفن والحرية لتحريم البعض الإنشاد الديني، وبدأت الناس يبحثون عن البناء الروحي عند شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم لبعض زخرف القول غروراً، ونسينا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه وتأثيره وفاعليته، وساهم في ذلك ليَّ البعض عنقه عنه عليه الصلاة والسلام، ودعوتهم بعدم جواز شد الرحال لزيارة الرسول عليه الصلاة، لإطلاقهم معنى شد الرحال، وقد قيده الرسول بالمساجد فقط، فقال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٩٩٥، فشد الرحال بنية أخذ مزيد أجر وثواب للصلاة في مسجد؛ لا تكون إلا للمساجد الثلاثة، فلو شد الرحال إلى جامعة أو مسجد لطلب العلم، وليس بنية زيادة أجر الصلاة فيه على غيره من المساجد الثلاث فلا حرج، والله أعلم.

١٠- وبالابتعاد عن زيارة قبر المصطفى استكباراً أو تمنعاً أو بغير عذر يقع الإنسان في المحظور الذي نبه إليه الله تعالى في قوله:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (المنافقون:٥) والآية مستمر العمل بها إلى يوم القيامة، في حياته ﷺ وبعد موته وانتقاله، والرسول عليه الصلاة والسلام فسر قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر:٣٠) عند

انظر الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: ٤ /٢٧٥، اسم المؤلف: محمد بن فتوح الحميدي الوفاة: ٤٨٨هـ، دار النشر: دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. علي حسين البواب.

وأورد البخاري في صحيحه ١١٣٢/٣: بَاب ما ذُكِرَ من دِرْعِ النبي صلى الله عليه وسلم وَعَصَاهُ وَسَيْفِهِ وَقَدَحِهِ وَخَاتَمِهِ وما اسْتَعْمَل الخُلَفَاءُ بَعْدَهُ من ذلك مِمَّا لم تذكر قِسْمَتُهُ وَمِنْ شَعَرِهِ وَنَعْلِهِ وَآنِيَتِهِ مِمَّا يَتَبَرَّكُ به أَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ، عدة أحاديث نذكر منها:

٢٩٣٩ حدثنا محمد بن عبد اللهِ الأَنْصَارِيُّ قال حدثني أبي عن ثُمَامَةَ عن أَنَسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه لَمَّا اسْتُخْلِفَ بَعَثَهُ إلى البَحْرَيْنِ وَكَتَبَ له هذا الكِتَابَ وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِ النبي صلى الله عليه وسلم وكان نَقْشُ الخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ وَرَسُولُ سَطْرٌ والله سَطْرٌ.

٢٩٤٠ حدثني عبد اللهِ بن مُحَمَّدٍ حدثنا محمد بن عبد اللهِ الأَسَدِيُّ حدثنا عِيسَى بن طَهْمَانَ قال أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسٌ نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ لهُمَا قِبَالانِ فَحَدَّثَنِي ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ بَعْدُ عن أَنَسٍ أَنَّهُمَا نَعْلَا النبي صلى الله عليه وسلم.، فسيدنا أنس رضي الله عنه يحتفظ بنعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحرقه ولم يتلفه ولم يزيل آثار النبي الحبيب كما فعله جهلة العصر بإزالة آثاره الشريفة بحجج واهية، ووسوسة لا رصيد لها من الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وإلى الله المشتكى.

سكرات الموت بأنه انتقال من حياة دنيوية إلى حياة برزخية وليس إلى عدم محض: (فَكَانَتْ آخِرَ كَلمَةٍ تَكَلمَ بها: اللهم الرَّفِيقَ الأعلى) رواه البخاري في صحيحه ج ٤ /١٦٢٠.
أوردت جميع كتب الفقه في آخر مبحث الحج (باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم)، فهل فقهاء الأمة مبتدعة حتى يكتب في عصرنا (زيارة المسجد النبوي) بدلاً من (زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم)؟!!! معاذ الله ذلك.
وما فعله سيدنا موسى عليه السلام في ليلة الإسراء والمعراج وهو في الحياة البرزخية، سيفعله وزيادة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حياته البرزخية.
١١- إننا بحاجة ماسة لمعرفة مكانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن والسنة بعمق وليس بسطحية:
حتى لا نقع في أخطاء جسيمة تنذر بالويل والثبور، فتحبط أعمالنا ونحن لا نشعر بسوء الأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام والعياذ بالله تعالى. وخير كتاب في هذا هو (الشفا في تعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض اليحصبي المالكي فاحرص عليه تكن من الفائزين إن شاء الله.
١٢- وإننا بحاجة لنصرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أنفسنا وأفكارنا واعتقادنا، وأول النصرة الاعتقاد بعصمته:
في مثل حادثة تأبير النخل وأسرى بدر وحادثة الأعمى وخير كتاب أجاب عن ذلك هو كتاب (سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) لأستاذنا الشيخ العالم الرباني عبد الله سراج الدين الحلبي ولادة ووفاة رحمه الله تعالى.
وقال محمد نور عفا عنه ربه الغفور: أبسط جواب على المعترض في الآيات التي ظاهرها تعاتب الرسول عليه الصلاة والسلام هو نسخ الحكم، فالوحي القرآني نسخ الوحي النبوي وينتهي الإشكال، فما قاله أو فعله الرسول هو وحي لأن الله تعالى يقول: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) (٣) (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) (سورة النجم: ٤)، ثم ينزل الوحي فينسخ الحكم السابق، وبالتالي فلا خطأ، ولم نقرأ أو نسمع عن الصحابة ولا التابعين كلمة أخطأ الرسول ﷺ والعياذ بالله.
١٣- كذلك بحاجة إلى إزالة ما يردده البعض (الغلو في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا يوجد غلو ما دام المادح لا يعتبره إلهاً:
بل رفع الله ذكره فقال: (ورفعنا لك ذكرك)، وأما حديث صحيح ابن حبان رقم: ٤١٤ وأحمد ١٥١ والطيالسي برقم ٢٣ وغيرهم يشهد بذلك: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله"، والإطراء هو وصف المرء بما ليس فيه، وكاف التشبيه (كما أطرت) تدل على النهي عن التشبه بالنصارى الذين زعموا أن سيدنا عيسى إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة، فهذا هو المنهي، ولا يوجد في التاريخ ولا في العالم الإسلامي من يقول بألوهية سيدنا محمد ﷺ أو إنه ابن الله معاذ الله، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وبذلك يبطل شعار (الغلو بمدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يزعمه البعض ويروج له، ولا يدري قائل تلك الكلمة أنه ينتقص من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من حيث لا يدري ونحذره بقوله تعالى: (..أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) (سورة الحجرات: ٢). ولا يعرف قدر الرسول ﷺ إلا الله تعالى الذي أرسله، فاعرفوا قدر نبيكم يا مسلمين!!!! وكفى انتقاص البعض بتخطئة المعصوم، حتى ابتلانا الله فأرسل علينا من أعدائنا من ينتقصه أكثر من ذلك.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٤- وكذلك لا يجوز تكفير من أصيب بشطحة فكرية:
وهو من الصالحين أو من العلماء لأنه قالها في وقت ما نحو مشاهدة أو تجليات أو غير ذلك، أو إليه اجتهاده، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى تخطئة ذلك وليس إلى تكفيره في الحديث الذي في صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في الحض على التوبة والفرح بها - حديث: ٥٠٣٨: عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح" فهذا رأى دابته فقال ذلك، فكيف بمن رأى تجليات نبوية أو ربانية فكيف ستكون حالته!!! اللهم أذقنا وأرنا بدون شطحات الغالين، ولا تعسف المتنطعين، اللهم آمين.

١٥- ويبقى لقاء سيدنا موسى وهو من أولي العزم من الرسل على نبينا وعليه الصلاة والسلام مع سيدنا الخَضر من العجب العجاب:
فقد أوصاه الله تعالى في الذهاب إلى الخَضر ليتعلم منه، ثم يعطيه الميثاق ألا يعترض عليه، ويبين له الخَضر: (وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبْراً)، ثم يؤكد سيدنا موسى أنه سيصبر: (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) ويشترط عليه الخَضر بألا يعترض عما يراه: (فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) ثم يسيران ويحصل الاعتراض على كل عمل عمله سيدنا الخَضر، والأعجب أن سيدنا موسى قد فعل هو أعجب مما فعل الخضر، فإلقاء سيدنا موسى بالتابوت في اليم أعجب من خرق السفينة لعيبها، ووكز سيدنا موسى للرجل فمات، أعجب من قتل الغلام عامداً، وسقي الماء وإملاء أواني المرأتين بدون أجر أعجب من بناء جدار صغير، وبيان سيدنا الخضر التأويل لهذه الأفعال والأعمال ترينا بجلاء أن نحمل تصرفات من ثبت صلاحه واستقامته عندما لا نفهم هذا العمل ومحاولة الاستفسار وأن نتبع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في الاستفهام فنطرح: ما حملك على هذا؟

١٦- قال العلامة الفقيه محمد الخليلي الشافعي ت ١١٤٧هـ في كتابه (الفتاوى الخليلي على المذهب الشافعي - ج٢ ص٢٥٥) ما نصه:
(مطلب عن رقص الصوفية عند تواجدهم ... إلخ.
(سئل) عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل؟
(أجاب الشيخ محمد الخليلي) : ذكر العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى بقوله: نعم له أصل؛ فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له: أشبهت خلقي وخلقي.. وذلك من لذة هذا الخطاب، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم. وقد صح التمايل والرقص في مجالس الذكر والسماع عند جماعة من كبار الأئمة؛ منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى انتهى.
فجعل (أي: ابن حجر الهيتمي الشافعي) ذلك أصلا لجواز رقص الصوفية عندما يجدونه من لذة الوجد في مجالس الذكر والسماع) انتهى كلام الخليلي.
قال محمد نور عفا عنه ربه العفو الغفورك
لم يقيد الله تعالى وضعية الذكر بل أطلقه في كل الوضعيات لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ ..)[آل عمران:١٩١]
وقد لعب الحبشة في يوم عيد في المسجد وكانوا يرقصون:

ففي الصحيحين واللفظ لمسلم ([1]) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرابهم، إذ دخل عمر بن الخطاب، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعهم يا عمر".
وفي صحيح البخاري([2]) عن عروة بن الزبير ، أن عائشة رضي الله عنهما قالت: " لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم " وفي رواية قالت: " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحبشة يلعبون بحرابهم ". وأزيدك بهذه الفتاوى من الأئمة الأعلام:

ادلـــة الـرقص الصوفـي والهـز ومشـروعيته

سئل ابن حجر المحدث الكبير عن رقص الصوفية وهل له أصل وهل رقص أحد بحضرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه؟

قال: نعم، إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال له: أشبهت خلقي وخلقي وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو في مصطلح الحديث إقرار، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يسكت عن حرام أو مكروه.

وأفتى بجواز الرقص عند سؤال أحد الحاضرين في مجلسه فقال: يجوز الرقص بدليل فعل الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رقصهم بالوثبات والوجد وإنشاد الشعر جائز بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأصل هذه الطرائق من الكتاب والسنة الحاثين على كثرة ذكر الله والاجتماع على محبة الله، أما سب المشايخ وتكفيرهم فكفر شرعاً بلا خلاف (السيف القاطع للسيوطي والإلهامات الإلهية للشيخ محمود أبي الشامات)

الإمام خير الدين الرملي رحمه الله تعالى-:

سُئل العلامة خير الدين الرملي عما اعتاده الصوفية من حلق الذكر والجهر في المساجد ونشر القصائد وغير ذلك من عوائدهم. فأجاب: إن الأمور منددها والأعمال بالنيات (حقيقة الصوفية)

الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى-:

جاء في الحاوي للفتاوي ما يلي: مسألة: في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر، ثم إن شخصاً من الجماعة قام في المجلس ذاكرا واستمر على ذلك الوارد الذي حصل له. فهل له ذلك سواء باختيار أم لا؟ وهل لأحد منعه وزجره من ذلك؟

الجواب: لا إنكار عليه في ذلك، وقد سُئل عن هذا السؤال بعينه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، فأجاب بأنه لا إنكار عليه في ذلك، وليس لمانع التعدي يمنعه ويلزم المتعدي بذلك

---

[1]) صحيح مسلم - كتاب صلاة العيدين- باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد - حديث:١٥٣٣- و صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير- باب اللهو بالحراب ونحوها - حديث:٢٧٦٦

[2]) صحيح البخاري - كتاب الصلاة- أبواب استقبال القبلة - باب أصحاب الحراب في المسجد- حديث:٤٤٥

التعزير، وسُئل عنه العلامة برهان الدين الأنباسي فأجاب بمثل ذلك وزاد أن صاحب الحال مغلوب، والمنكر محروم، ما ذاق لذة التواجد ولا صفا له المشروب.
إلى أن قال في آخر جوابه: وبالجملة فالسلامة في تسليم حال القوم، وأجاب أيضا بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية، كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة: أقول: وكيف ينكر الذكر قائما والقيام ذاكراً وقد قال الله تعالى: {الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم} آل عمران الآية ١٩١وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه) وإن انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلا إنكار عليهم، فذلك من لذات الشهود أو المواجيد، وقد ورد في الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي لما قال له: أشبهت خلقي وخلقي وذلك من لذة الخطاب، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك أصلاً في رقص الصوفية لما يدركونه من لذات المواجيد.
اللهم اهدنا وسددنا واهد بنا، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وكتبه الراجي عفو ربه العفو الغفور محمد نور بن عبد الحفيظ سويد.
وكانت آخر مراجعة فجر يوم الأحد ١٨/محرم الحرام /١٤٤٢ من هجرة الحبيب المحبوب ﷺ الذي يوافقه ٢٠٢٠/٩/٦ رومية.

****

ملحق رقم (١) فتوى من هيئة الشام الإسلامية ([1]).

هل مقولة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) صحيحة؟

السؤال:

نسمع كثيرًا أنَّ من نواقض الإسلام عدم تكفير الكفار أو الشك في كفرهم، وأن من لم يكفر المرتدين فهو كافر؟ فما صحة هذه العبارة؟ وهل قال بها أحد من أهل العلم؟ أفتونا مأجورين.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإنَّ التكفير باب خطير، ومزلة أقدام، ومضلة أفهام، ولذلك اهتمّ العلماء بتوضيحه غاية التوضيح، وقاموا بضبطِه أتمَّ ضبط، ومن ذلك قاعدة" :من لم يكفِّر الكافر فهو كافر"، فهي قاعدة صحيحة في أصلها تتعلق بردِّ النصوص الشرعية وتكذيبها، لا في وقوع بعض أفراد المسلمين في الكفر، وبيانها كما يلي:

أولاً: قاعدة" : من لم يكفِّر الكفار أو شكَّ في كفرهم أو صحَّحَ مذهبهم فهو كافر"، قاعدةٌ صحيحة:

أجمع عليها علماء المسلمين قديمًا وحديثًا؛ لأن من لم يكفر الكفار المقطوع بكفرهم بنصِّ القرآن والإجماع: فهو مكذب للقرآن والسنة.

قال القاضي عياض في كتابه" الشفا"

" :وَلِهَذَا نُكفِّر من لم يُكَفِّر مَنْ دَانَ بِغَيْرِ مِلةِ المُسْلمِينَ مِنَ المِلل.. أَوْ وَقَفَ فِيهِمْ، أَوْ شَكَّ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ.. وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الإِسْلامَ وَاعْتَقَدَهُ وَاعْتَقَدَ إِبْطَال كُل مَذْهَبٍ سِوَاهُ.. فَهُوَ كَافِرٌ بِإِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ خِلافِ ذَلِكَ."

ثم بين السبب بقوله: "لِقِيَامِ النَّصِّ وَالإِجْمَاعِ عَلى كُفْرِهِمْ، فَمَنْ وَقَفَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ كَذَّبَ النَّصَّ."

قال النووي في "روضة الطالبين"

:مَنْ لمْ يُكَفِّرْ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ الإِسْلامِ كَالنَّصَارَى، أَوْ شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الإِسْلامَ وَاعْتَقَدَهُ."

وقال البهوتي في "كشاف القناع":

"فهُوَ كَافِرٌ؛ لأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لقَوْلِهِ تَعَالى :(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَل مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ).

فهي من قواعد التكفير المتعلقة بردِّ النصوص الشرعية وتكذيبها، لا في وقوع بعض أفراد المسلمين في الكفر أو ارتكابهم ناقضًا من نواقض الإسلام؛ لذا لا تطبق هذه القاعدة إلا إن كان الخبر الوارد في التكفير صحيحًا متفقًا عليه، وبالتالي يكون من ترك تكفير مرتكبها رادًا لهذه الأخبار مكذبًا لها.

---

[1]) http://islamicsham.org/fatawa/ ١٩٠٤

ثانياً: هذه القاعدة تشمل ثلاثة أمور:

الأول : وجوب القطع بكفر كل مَن دان بغير دين الإسلام من اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم على اختلاف مللهم وشرائعهم؛ إذ إن كفر هؤلاء ثابتٌ بنصوص عامة وخاصة من الكتاب والسنة.

فمن النصوص العامة:

قوله تعالى :(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ) [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى :(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ) [آل عمران: ٨٥].

وقوله صلى الله عليه وسلم :(والذي نفسُ محمد بيده، لا يسمعُ بي أحد من هذه الأمَّةِ - يهودِيّ ولا نصرانيّ- ثم يموت ولم يُؤمِنْ بالذي أُرْسِلتُ به، إلا كان من أصحابِ النَّار) رواه مسلم.

ومن النصوص الخاصة:

قوله تعالى :(وَقَالتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْل الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى :(لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [المائدة: ٧٣].

فمن لم يكفر هؤلاء أو شكَّ في كفرهم أو صححَ دينهم وعقائدهم: فقد كذَّب الله -تعالى- ورسوله صلى الله عليه وسلم، وردَّ حكمهما.

وقد نقل القاضي عياض في كتابه " الشفا" الإجماع على: " كُفْرِ مَنْ لمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى وَاليَهُودِ، وَكُل مَنْ فَارَقَ دِينَ المُسْلِمِينَ، أَوْ وَقَفَ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ شَكّ."

الأمر الثاني الذي تشمله القاعدة: وجوب القطع بكفر طوائف ومذاهب الردة المجمع على كفرهم وردته:

كالباطنية من القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والدروز، والبابية والبهائية والقاديانية.

فقد حكم أهل العلم على هذه الطوائف بالكفر والردة؛ لاعتقاداتهم المنافية لأصول الإسلام من كل وجه، فمن لم يكفر هؤلاء أو شك في كفرهم بعد العلم بحقيقة حالهم، فقد صحح مذهبهم وعقائدهم الكفرية، وطعن في دين الإسلام، فيكون كافراً مثلهم.

قال ابن تيمية في "الفتاوى" عن الدروز:

"كُفْرُ هَؤُلاءِ مِمَّا لا يَخْتَلفُ فِيهِ المُسْلمُونَ؛ بَل مَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ مِثْلُهُمْ."

الأمر الثالث الذي تشمله القاعدة :من ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام المجمع عليها بين العلماء، كالاستهزاءِ بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو سبِّهِ، أو جحدِ ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

فمن لم يكفر من ارتكب هذا النوع من النواقض؛ لإنكاره أن يكون ما قاله أو فعله كفرًا، فهو كافر مثله.

قال ابن تيمية فيمن اعتقد جواز سب الصحابة أو اعتقد اعتقادًا كفريًا:

" أما من اقترن بسبه دعوى أن عليا إله أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره."

ثالثًا: قاعدة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) لا تشمل:

١- ما اختلف العلماء في عدِّه من المكفِّرات:

كاختلافهم في تارك الصلاة تكاسلاً، فمنهم من عدَّه كفراً مخرجاً من الملة، ومنهم من لم يوصله إلى ذلك، فلا يقال فيمن لم يكفر تارك الصلاة كسلاً: إنه كافر.

٢- من امتنع من تكفير مسلم معيَّن ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، فمثل هذا لا يُحكم بكفره:

لأن تنزيل حكم الكفر على شخصٍ بعينه ليس مقطوعًا به، فقد يكون تكفيره والحكم عليه بالردة صوابًا أو خطأً، وقد يكون التوقُّف في تكفيره لوجود مانع، أو عدم توفر شرط، أو عدم قيام حجَّة، ونحو ذلك.

فلا يدخل في هذه القاعدة:

من لم ينزل أحكام الكفر المتفق عليها على بعض المُعيَّنين، كمن لم يُنزِّل أحكام الطواغيت أو الحكم بغير من أنزل الله على أعيان الطوائف والأفراد؛ فإن الكفر بالطاغوت أصلٌ في الإسلام كما قال تعالى :(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لهَا)، لكن تنزيل الطاغوت على فردٍ معينٍ محلُّ اجتهادٍ ونظر.

وحينها لا يقال: إن من لم يكفر مرتكب هذا الناقض فهو كافر؛ لأجل الخلاف أو الاجتهادِ فيه .

رابعًا :لا يجوز تنزيل هذه القاعدة على الأعيان إلا بعد تحقق شروط التكفير، وانتفاء موانعه.

فالتكفير المُطلق كقول (من لم يكفر الكافر فهو كافر) يختلف عن تكفير معينٍ من الناس بقول (فلان لم يكفر الكافر فهو كافر).

فالأفراد المُعيَّنون متفاوتون بحسب قيام الحجة عليهم، واجتهادهم وتأويلهم، وكثير من الغُلاة لا يُفرِّقون بين هذه المراتب بسبب الجهل بها.

قال ابن أبي العز الحنفي في "شرح الطحاوية": "الشخص المعيَّن يمكن أن يكونَ مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله."

فقد يكون توقف الشخص عن تكفير الكفار الأصليين، أو المرتدين المتفق على ردتهم ناتجًا عن قصور في العلم أو لشبهة رآها، أو غير ذلك من موانع التكفير،) كالجهل، والخطأ، والإكراه، والتأويل)، فلا بد من التأكد من خلوها جميعها في هذا المعين.

نقل ابن حجر عن الشافعي في "فتح الباري" قوله:

"من خالفَ بعد ثبوتِ الحُجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحُجة فإنه يُعذر بالجهل."

وقال ابنُ تيميةَ في "الفتاوى" في بيانِ حقيقةِ عقيدةِ وحدةِ الوجودِ، وأنها أشرُ من قول النصارى" :

فَهَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا بِإِجْمَاعِ كُل مُسْلِمٍ، وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِ هَؤُلاءِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ قَوْلِهِمْ، وَمَعْرِفَةِ دِينِ الإِسْلامِ، فَهُوَ كَافِرٌ كَمَنْ يَشُكُّ فِي كُفْرِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالمُشْرِكِينَ."

فقد اشترط لهذا التكفير شرطين :معرفة قولهم أي معرفة حالهم، ومعرفة دين الإسلام أي الأدلة على كفرهم.

فلا بد من إقامة الحجة على من لم يكفر الكافر، بتعليمه، وتوضيح الأمر له.

خامسًا :ضَل في هذه القاعدة فريقان:

فريقٌ فرَّط وضيع، وفريقٌ أَفْرَطَ وغلا.

١-فأمَّا المضيعون :

فلم يأخذوا بهذه القاعدة، وجحدوها، ولم يروا تكفير من لم يكفر الكفار بعد توافر القيود والضوابط.

وبعضهم زعم أنَّ تكفير الكافر مخالف لحرية الاعتقاد، ومنهم من نادى بوحدة الأديان، أو مساواتها، وهذا القول تكذيب لله ورسوله وجحد لما أجمعت عليه الأمة.

٢-وأما الغلاة :

فقد توسعوا في هذه القاعدة، حتى أدخلوا فيها المسلم الذي رموه بالردة والكفر، ثم ألزموا الآخرين بتكفيره، فإن لم يفعل كفروه عملاً بهذه القاعدة، زعموا.!!

وأخيرًا: فإنَّ التكفير والحكم بالردَّة أمر خطير:

وله آثار تمتد لتشمل التفريق بين الزوجين، وانقطاع التوارث بين المرتد وورثته، والحكم بقتل المرتد، وعدم الصلاة عليه، وغيرها، فلا ينبغي أن يُقدم عليها المسلم، بل لا يكون ذلك إلا للراسخين في العلم ممن بيدهم الفصل والقضاء.

قال أبو حامد الغزالي في "الاقتصاد في الاعتقاد":

" ينبغي الاحترازُ من التكفيرِ ما وجدَ إليه سبيلاً، فإن استباحةَ الدماءِ والأموال من المصلين إلى القبلة المصرّحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأُ في تركِ ألفِ كافرٍ في الحياةِ أهونُ من الخطأِ في سفكِ مِحْجَمَةٍ من دم مسلم."

و(المِحْجِمة): آلة الحجامة، أي المقدارُ اليسر من الدم الذي يكون في الآلةِ الحجامة.

وقال الشوكاني في "السيل الجرار":

"اعلم أنَّ الحكمَ على الرجل المسلمِ بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلمٍ يؤمن بالله واليومِ الآخر أن يَقْدُمَ عليه إلاَّ ببرهانٍ أوضحَ من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية عن جماعةٍ من الصحابة أنَّ :مَنْ قَال لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا."

نسأله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا ويجعلنا من الأمة الوسط لا غلو ولا جفاء، وأن ينصرنا على أعدائنا المجرمين، والحمد لله رب العالمين.

ملحق رقم (٢).

شهادات عن الصوفية من الأئمة ابن تيمية وابن القيم والشاطبي

ثم

صوفية شيخ الإسلام القطب ابن تيمية بقلم تلاميذه من الدرجة الأولى

ابن عبد الهادي- ابن القيم- البزار- ابن كثير رحمهم الله

قطب- يعلم الغيب- يقرأ من اللوح المحفوظ - له كرامات – يتبرك بطاقيته قبَّلته النساء بعد وفاته- دفن في مقبرة الصوفية ....

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعد محمد نور سويد:

الحمد لله والصلاة على من لا نبي بعده خاتم النبيين وسيد الغر المحجلين حبيبنا وشفعينا وقائدنا ومربي أرواحنا سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فهذه ورقات قليلة تؤلف بين القلوب، وتجمع بين المخلصين من الفريقين السادة الصوفية ومحبي القطب الرباني ابن تيمية رحمه الله، وقد عالجت هذه الورقات أموراً مهمة من كلام ابن تيمية وتلامذته من الطبقة الأولى والتي تشهد بصوفية ابن تيمية رحمه الله، وتدعو محبيه إلى تخفيف الحدة والعداوة عن السادة الصوفية، وتدعو إلى الوسطية المحببة، وتنبذ العصبية والتطرف المذموم، والفجور في الخصومة، والأمن والأمان في العلاقة، ونبذ التنابذ بالألقاب، والسباب والفسوق، وتدعو إلى الاعتراف بصوفية ابن تيمية وتلامذته من الطبقة الأولى التي يحتج بها على باقي محبيه، وتفرض عليهم احترامه، واحترام السادة الصوفية، ولقد سمعت من أخ كويتي كان عضواً في مجلس الأمة سلفي الاتجاه ودكتور في الشريعة قال وكنت بقربه:

يا أخي لقد وجدنا أن الصوفية مننا وفينا ومن أهل السنة، ولكننا وجدنا العداوة والبغضاء من غيرهم انتهى قوله.

إن من يريد الإخلاص لله تعالى عليه التثبت والتحقق والمراجعة الدقيقة، والتعمق في البحث وأن يتبع قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري في صحيحه([1]) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته).

وفي رواية له أيضاً ([2]) عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله).

عن ميمون بن سياه، أنس بن مالك، قال: يا أبا حمزة، ما يحرم دم العبد وماله؟ فقال: (من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم)، وكذلك أن نتذكر دوماً ما رواه مسلم في صحيحه([3])

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح).

وقد علق الشيخ ابن باز رحمه الله على الحديث:

بأن لا يؤخذ على الإنسان قوله في لحظة غيبوبته وشطحاته.

---

[1]) صحيح البخاري - كتاب الصلاة- أبواب استقبال القبلة - باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه- حديث:٣٨٧ .

[2]) صحيح البخاري - كتاب الصلاة- أبواب استقبال القبلة - باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه- حديث:٣٨٨.

[3]) صحيح مسلم -كتاب التوبة- باب في الحض على التوبة والفرح بها- حديث:٥٠٣٦، ورواه أحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم.

إننا اليوم أمام حملات عدائية عالمية لاستئصال الإسلام مهما كان نوعه واسمه ونوعه، وإن كانت العداوة متدرجة الأقوى فالأقل إلى أن تأتي على الإسلام والمسلمين جميعاً بدون تفرقة للمسميات العصرية الدارجة، والله تعالى نبهنا لها فقال على المستوى المشركين من بوذيين وهندوس وخلافه، وعلى مستوى الصهيوصليبية:
فقال عن المشركين: (..وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون) [البقرة:٢١٧].
وقال عن الصهيوصليبية المحاربين: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِير) [البقرة:١٢٠].
إننا اليوم في أمس الحاجة أن نكون صفاً واحداً كصفوف الصلاة نصلي خلف بعضنا، ونسوي الصف، ونلحق لسد الفراغات بين الصفوف، وكما قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله ونقلها الدعاة عنه: (نعمل فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).
لقد رضي ابن تيمية رحمه الله من كافة فئات المسلمين أن يجاهدوا معه بلا استثناء لصد هجمة المغول عن دمشق، ولم يفرق بين المسلمين كتفرقتنا في عصرنا الحاضر، وكتنابذ المسلمين اليوم.
ولهذا جمعت هذا البحث من هنا وهناك من الشابكة وأسأل الله تعالى تأليف القلوب وأن يجمعنا تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.
وكان البحث كما يلي:
أولاً- إثبات القطبية على التحقيق تلميذه ابن عبد الهادي.
ثانياً- من أوراده يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت ٤٠ مرة أنهما الاسم الأعظم تلميذه ابن القيم.
ثالثاً- من أحواله النظر إلى السماء وقراءة الفاتحة من الفجر لطلوع الشمس تلميذه الحافظ عمر بن علي البزار.
رابعاً- من سلوكه الذهاب إلى الصحراء و إلى المساجد المهجورة ونحوها ويمرغ وجهه في التراب ويدعو الله تلميذه ابن القيم وابن عبد الهادي.
خامساً- الاجتماع للذكر والجهر به من اقوال القطب ابن تيمية الحراني مجموع فتاويه.
سادساً- بعض من كرامات سيدي القطب ابن تيمية رحمة الله
١-نعش ابن تيمية مهاب وتطوف به الملائكة. ابن عبد الهادي.
٢-اطلاعه على الغيب ابن عبد الهادي.
٣-الكشف ومعرفة الباطن واطلاعه على اللوح المحفوظ ومعرفة الغيب ابن القيم.
٤-من كرامات ابن تيمية تمثل (الجن) بصورته مجموع فتاويه.
٥-الكشف ومعرفة الباطن والمستقبل وغيرها الكثير: الحافظ عمر بن علي بن موسى البزار.
٦-التبرك برؤية القطب ابن تيمية قبل دفنه والتبرك بتقبيله حتى من النساء! ابن كثير في البداية.
٧-شرب ما غسلة بعد موته وبيع طاقيته بأموال ضخمة والتبرك بجسده وبزيارة قبره وختم القران على روحه وصياح وبكاء العلماء مثل الامام ابن كثير وابن عبد الهادي وغيرهم

٨-إلقاء المناديل والعمائم على نعش القطب ابن تيمية للتبرك بالقطب رحمة الله ودفنه في مقابر الصوفية رحم الله القطب ابن تيمية الصوفي ابن عبد الهادي.
٩-واحذر اخي المسلم من أنكر كرامات القطب ابن تيمية ابتلي بعدة بلايا غالبها في دينه !! ابن عبد الهادي.
والله من وراء القصد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ملحق رقم (٢) شهادة ابن تيمية وابن القيم رحمه الله في التصوف

تمهيد من الباحث محمد نور سويد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وإمام الصوفية الأولين واللاحقين، صاحب الإسراء والمعراج حبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو قدوة وأسوة المسلمين في المراتب الثلاث التي تكلم عنها في حديث جبريل الشهير، وهي الإسلام والإيمان والإحسان، والتي اعتنى بها السادة الصوفية أكثر من غيرهم فالفقهاء بينوا الدرجة الأولى وهي أحكام الإسلام، وأهل العقيدة بينوا أحكام الإيمان، وأما السادة الصوفية فقد تكلموا في المراتب الثلاث.

وعماد مرتبة الإسلام هي النية فهي أول ركن في كل عبادة:

ففي صحيح مسلم عن سليمان بن يسار ، قال: تفرق الناس عن أبي هريرة ، فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ ، حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم ، وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم ، وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال: كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم ، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال: كذبت ، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي في النار"

وعماد مرتبة الإيمان هو الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى:

أخرج الإمام أحمد في مسنده بإساد حسن ح عن الوليد بن عبادة ، حدثني أبي قال: دخلت على عبادة ، وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي . فقال: أجلسوني . فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لن تطعم طعم الإيمان ، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قال: قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر من شره ؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن أول ما خلق الله القلم ، ثم قال: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة " يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار ([1]).

---

[1]) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار- حديث عبادة بن الصامت - حديث:٢٢١١٧ -وسنن أبي داود - كتاب السنة- باب في القدر - حديث:٤٠٩٩ - سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح- أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب- حديث:٢١٣٢

وعماد مرتبة الإحسان هي الوصول إلى أن تشعر أنك ذرة من ذرات الكون وتتذكر الخطاب الإلهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك:
ففي صحيح البخاري ([1])، عن أبي هريرة ، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس ، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان ؟ قال: " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، وبلقائه ، ورسله وتؤمن بالبعث " . قال: ما الإسلام ؟ قال: " الإسلام: أن تعبد الله ، ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان " . قال: ما الإحسان ؟ قال: " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، قال: متى الساعة ؟ قال: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان ، في خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله عنده علم الساعة الآية ، ثم أدبر فقال: " ردوه " فلم يروا شيئا ، فقال: " هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم " قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان).
ولكي تصل إلى هذه الدرجة فلا بد أن تزيل كينونتك وأنانيتك وصنم الكبر في صدرك وتتحق بإن لم تكن فعندئذ تراه وعندها تتذكر الخطاب الإلهي وأنت في عالم الذر لك: (ألستُ بربكم قالوا بلى) فأنت واحد من تريلونات ما خلقه الله، فأنت عندها لا شيء، وحقيقته ألا تقل (أنا) وتقل (هو) سبحانه يسر لي وأعطاني وفتح عليك رزقني الله وإياك هذه المرتبة الإحسانية.
وبعد فهذه ورقات عثرت عليها تتحدث عن موضوع مهم في الساحة الثقافية عن صوفية الشيخ ابن القيم الجوزية رحمه الله من خلال كتبه المنتشرة، مما يدلل على إيمانه بالصوفية، وأن الحملة ضد التصوف ليس لها أساس من الصحة، وهس أصوات شاذة مخالفة، فلا يلتفت إليها، وأفعال الجهلة ليست حجة على الصوفية.
وكتبه راجي عفو ربه الغفور
محمد نور عبد الحفيظ سويد
مساء الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ-الذي يوافقه ٧-١٢-٢٠١٩ م.

[1]) صحيح البخاري - كتاب الإيمان- باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان - حديث:٥٠ ، صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن- سورة البقرة - باب قوله: إن الله عنده علم الساعة- حديث:٤٥٠٣، وصحيح مسلم - كتاب الإيمان- باب معرفة الإيمان - حديث:٣٤، وفيها زيادة: ، قال: ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال لي: " يا عمر أتدري من السائل ؟ " قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: " فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم "

أولاً- شهادة ابن تيمية رحمه الله عن التصوف:

قال ابن تيمية :

(وأول من حمل اسم (صوفي) هو أبو هاشم الكوفي، الذي ولد في الكوفة، وأمضى معظم حياته في الشام، وتوفى عام (١٦٠هـ.) (ملحوظة: ابوهاشم الكوفي كان معاصراً للامام المجتهد سفيان الثوري الذي توفي عام ١٥٥هـ.).

وأول من حدد نظريات التصوف وشرحها هو (ذو النون المصري) تلميذ الإمام (مالك بن أنس).

وأول من بوبها ونشرها هو(الجنيد)) البغدادي] اهـ.

قال عنه سفيان الثوري: (لولا أبو هاشم ماعُرِفت دقائق الرياء).

قال ابن تيمية في (مجموع الفتاوى)(11/6) :

(أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية).

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى(11/282)

(وعبد الواحد بن زيد وأن كان مستضعفاً في الرواية إلا أن العلماء لا يشكون في ولايته وصلاحه ولا يلتفتون إلى قول الجوزجاني فأنه متعنت كما هو مشهور عنه).

وذكر ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (أن عبدالواحد ابن زيد من أولياء الرحمن). !!

تعريف الصوفي عند ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (11/16) :

(هو ـ أي الصوفي ـ في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال: صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضاً كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجلّ الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم والصديق من العصر الأول أكمل منه والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وإن كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه).

قال ابن تيبمية في مجموع الفتاوى (جزء ١٢ – صفحة ٣٦)

(وأما جمهور الأمة وأهل الحديث والفقه والتصوف فعلى ما جاءت به الرسل وما جاء عنهم من الكتب والاثارة من العلم وهم المتبعون للرسالة اتباعا محضا لم يشوبوه بما يخالفه).

التصوف تكلم به الامام أحمد ابن حنبل وسفيان الثوري والداراني وغيرهم:

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (جزء ١١ – صفحة٥)

(أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وأبى سليمان الدارانى وغيرهما وقد روى عن سفيان الثورى أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى) .اهـ ملحوظة: عبارة لم يكن مشهورا لاتنافي انه كان موجود

وقال في مجموع الفتاوى(11/17) :

(طائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معرفون وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم ، **والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله** كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطىء وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب إليهم من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم).اهـ

ويقول ابن تيمية في هذا الباب الفتاوى(29 - 11/28)

(لفظ الفقر والتصوف قد أدخل فيه أمور يحبها الله ورسوله فتلك يؤمر بها ، وإن سميت فقرا وتصوفا ؛ لأن الكتاب والسنة إذا دل على استحبابها لم يخرج ذلك بأن تُسمى باسم أخر . كما يدخل في ذلك أعمال القلوب كالتوبة والصبر والشكر والرضا والخوف والرجاء والمحبة والأخلاق المحمودة .) اهـ.

مجموع فتاوي ابن تيمية -كتاب التصوف (ج٥ ص٣)

(و«أولياء الله» هم المؤمنون المتقون، سواء سمي أحدهم فقيراً أو صوفياً أو فقيهاً أو عالماً أو تاجراً أو جندياً أو صانعاً أو أميراً أو حاكماً أو غير ذلك." اهـ).

قال ابن تيمية مجموع الفتاوى (جزء ٢٠ - صفحة ٦٣)

(ثم هم إما قائمون بظاهر الشرع فقط كعموم أهل الحديث والمؤمنين الذين فى العلم بمنزلة العباد الظاهرين فى العبادة وإما عالمون بمعاني ذلك وعارفون به فهم فى العلوم كالعارفين من الصوفية الشرعية فهؤلاء هم علماء أمة محمد المحضة وهم أفضل الخلق وأكملهم وأقومهم طريقة والله أعلم) اه

قال في (مجموع الفتاوى) (11/16) :

(وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون). وفي **مجموع الفتاوى [جزء ٧ – صفحة ١٩٠]**

(فإن أعمال القلوب التى يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين الى الله).

ثانياً- أقوال ابن القيم عن الصوفية:

قال ابن القيم في كتابه مدارج السالكين (ج١ ص١٣٥)

١)أنهم (أي الصوفية) كانوا أجل من هذا وهممهم أعلى وأشرف إنما هم حائمون على اكتساب الحكمة والمعرفة وصهارة القلوب وزكاة النفوس وتصحيح المعاملة.

٢)أما في (ج٢ ص٣٠٧) فنجده يقول :

[التصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه، فان المرء مع من احب .كما قال سمنون: ذهب المحبون بشرف الدنيا والاخرة، فان المرء مع من احب، والله اعلم].

٣)قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٤٩٩)

[الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، وكذلك التصوف

٤)**قال أبو بكر الكتاني([1]):** " التصوف خُـلـق فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في التصوف ".
وقيل: التخلي من الرذائل والتحلي من الفضائل. إلى ان قال: قال شيخ الاسلام (أي شيخ الإسلام الهروي الصوفي): (واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم: أن التصوف هو الخلق، وجميع الكلام فيه يدور على قطب واحد وهو: بذل المعروف وكف الاذى) .
قلت: (ومن الناس من يجعلها ثلاثة: كف الاذى واحتمال الاذى وايجاد الراحة ومنهم من يجعلها اثنين – كما قال الشيخ بذل المعروف وكف الاذى. ومنهم ومن يردها إلى واحدة بذل المعروف والكل صحيح) اهـ.

٥)قال ابن القيم في كتابه (شرح منازل السائرين) :
(الصوفية ثلاثة أقسام: صوفية الأرزاق، وصوفية الرسوم، وصوفية الحقائق، وبدع الفريقين المتقدمين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه ... وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين فهم في الحقيقة علماء حكماء) أ.هـ .
٦)قال ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين (ص٢٦١-٢٦٠):
[ومنها أن هذا العلم (التصوف) هو من أشرف علوم العباد وليس بعد علم التوحيد أشرف منه وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة].

ثالثًا- الصوفية والفقراء عند ابن القيم :

١- قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٢ ص ٣٦٨)

(ثم انهم – في انفسهم فريقان: صوفية وفقراء، وهم متنازعون في ترجيح الصوفية على الفقراء أو بالعكس أو هما سواء، على ثلاثة اقوال :- فطائفة رجحت الصوفي، منهم كثير أهل العراق ،وعلى هذا صاحب العوارف وجعلوا نهاية الفقير: بداية الصوفي .
-وطائفة رجحت الفقير، وجعلوا الفقر لب التصوف وثمرته، وهم اكثر أهل خرسان.
-وطائفة ثالثة، قالوا: الفقر والتصوف شيئ واحد، وهؤلاء هم اهل الشام) .

٢-قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج١ ص١٩٩) وهويصف الشيخ عبد القادر -بالشيخ – العارف - القدوة

قال ابن القيم: [وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة عبد القادر الكيلاني([1]): (الناس اذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا فانفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والرجل من يكون منازعاً للقدر لا من يكون مستسلماً للقدر] ([2]).

---

[1]) مُحَمَّد بن عَليّ بن جَعْفَر الكتاني، وكنيته أَبُو بكر وَيُقَال أَبُو عبد الله، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه: «كانَ أحد الْأَئِمَّة»، ورُوي عن أبي محمّد المرتعش أنه كان يقول فيه: «الكتّاني سراج الحَرَم»،ووصفه الذهبي بأنّه: «القدوة العارف، شيخ الصوفية.« صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز وإبراهيم الخواص وأبا الحسين النوري، وروى عنه جعفر الخلدي ومحمد بن علي التكريتي وأبو القاسم البصري وآخرون. أصله من بغداد، وكان يعظ الناس ويذكرهم بالله جهرةً على المنابر، وكان كثير الأسفار والرحلات، وأقام بمكة مجاوراً منقطعاً للعبادة إلى أن مات فيها سنة 322هـ. https://ar.wikipedia.org/

[1]) عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني (470هـ - 561 هـ)، هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضا ب"سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي، لقبه أتباعه بـ"باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد". وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية. https://ar.wikipedia.org/

[2]) **في منازعة القدر بالقدر أورد الإمام النووي** رضي الله عنه في رياض الصالحين - **باب كراهة الخروج من بلد وقع به الوباء فرارا منه وكراهة القدوم**-قال اللَّه تعالى (النساء ٧٨): (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة). وقال تعالى (البقرة ١٩٥): {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)

1791- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى الشام حتى إذا كان بِسَرْغ، لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، قال ابن عباس فقال لي عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعوتهم، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال: بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف عليه منهم رجلان؛ فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفراراً من قدر اللَّه! فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! وكان عمر يكره خلافه؛ نعم نفر من قدر اللَّه إلى قدر اللَّه؛ أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر اللَّه، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر اللَّه قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان متغيباً في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علماً: سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: **(إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)** فحمد اللَّه تعالى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانصرف. **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**)العدوة: جانب الوادي.

1792- وعن أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وحين الرجوع من صفين سأل شيخٌ سيّدَنا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه :يا أمير المؤمنين، أخبرني عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاءٍ وقَدَر؟

أجابه سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنه: والذي فلقَ الحَبَّةَ وبرأ النَّسْمة، ما قَطَعْنا واديا ولا عَلونا تِلْعةً إلا بقضاء وقدر، فقال الشيخ: عند الله أَحْتسبُ عنائي، ما أرى لي مِن الأمر شيء! فقال علي: ولِمَ؟ بل عظَّم الله أجركم في مسيركم وأنتم مصعدون وفي منحدركم وأنتم منحدرون، وما كنتم في شيء من أموركم مكْرَهين، ولا إليها مُضطرّين، فقال الشيخ: كيف يا أمير المؤمنين، والقضاءُ والقدرُ ساقنا إليها؟ قال عليٌّ: "ويحك، لعلك ظننته قضاءً لازما وقدرا حاتما، لو كان ذلك، لسقط الوعْدُ والوعيد، ولبطل الثواب والعقاب ولا أَتَتْ لائمةٌ من الله لِمُذنب ولا مَحْمدةٌ من الله لِمُحْسن، ولكنَّ الله تعالى أَمَرَ بالخير تخييرا، ونهى عن الشر تحذيرا، ولَمْ يُعْصَ مَغلوبا، ولَمْ يُطَعْ مُكْرَها " ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ج ٥١٢/٤٢.

وفي صحيح مسلم - كتاب الإيمان- باب معرفة الإيمان - حديث:٣٤

رابعاً- تعريف العارف بالله عند الصوفية:

١- قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٣ ص٣٣٤)

(فالعارف – عندهم -أي الصوفية، من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم صدق الله في معاملته، ثم اخلص له في مقصوده ونياته ى، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم تطهر من أوساخه ومخالفاته، ثم صبر على احكام الله في نعمه وبلياته، ثم دعا على بصيرة بدينه وآياته، ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله، ولم يشبها باراء الرجال واذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم، ولم يزن بها ماجاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته. فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة – اذا سمى به غيره على الدعوى والاستعارة).

٢- قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٣ ص٣٣٥)

(قال بعض السلف: نوم العارف يقظة، وأنفاسه تسبيح، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل، وانما كان نوم العارف يقظة لأن قلبه حي وعيناه تنامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفاطرها، جسده في الفرش وقلبه حول العرش).

عن يحيى بن يعمر ، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف ، قال: " فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم برآء مني " ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر " **لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا ، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر** " ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " ، قال: صدقت ، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه ، قال: فأخبرني عن الإيمان ، قال: " أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " ، قال: صدقت ، قال: فأخبرني عن الإحسان ، قال: " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، قال: فأخبرني عن الساعة ، قال: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " قال: فأخبرني عن أمارتها ، قال: " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " ، قال: ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال لي: " يا عمر أتدري من السائل ؟ " قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: " فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ".

وفي رواية: عن يحيى بن يعمر ، قال: لما تكلم معبد بما تكلم به في شأن القدر أنكرنا ذلك ، قال: فحججت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حجة ، وساقوا الحديث بمعنى حديث كهمس وإسناده ، وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف .

خامساً- الانتفاع بمجالسة العارفين عند ابن القيم:

١-قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٣ ص٣٣٥): (وقيل: مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الاخرة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الطوية إلى النصيحة).

سادساً- نقل ابن القيم عن الامام الشافعي وانتفاعه من السادة الصوفية:

١-قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٣ ص١٢٨)

(قال الشافعي رضي الله عنه: صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين، سمعتهم يقولون: الوقت سيف فإن قطعته وإلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل .

قلت: يالهما من كلمتين، ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلها ويقظته، ويكفي في هذا ثناء الشافعي على طائفة أي السادة الصوفية. هذا قدر كلماتهم .

سابعاً- ابن القيم يمتدح طريق التصوف:

١-قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٣ ص٣٣٠) مانصه :

(فاعلم أن في لسان القوم (أي الصوفية) من الاستعارات وإطلاق العام وإرادة الخاص، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم، ولهذا يقولون: (نحن أصحاب إشارة ولا أصحاب عبارة)، و(الإشارة لنا والعبارة لغيرنا).

وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد ويريدون بها معنى لا فساد فيه. وصار هذا سبباً لفتنة طائفتين: طائفة تعلقوا عليهم بظاهر عباراتهم فبدعوهم وضللوهم.

وطائفة: نظروا إلى مقاصدهم ومغزاهم فصبوا تلك العبارات وصححوا تلك الإشارات، فطالب الحق يقبله ممن كان ويرد ماخالفه على من كان).

٢-قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٣ ص١٥١)

(فإياك ثم إياك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها، فإنها أصل البلاء، وهي مرد الصديق والزنديق، فإذا سمع الضعيف المعرفة والعلم بالله تعالى لفظ (اتصال، وانفصال، ومسامرة، ومكالمة، وأنه لا وجود في الحقيقة إلا وجود الله، وأن وجود الكائنات خيال ووهم، وهو بمنزلة وجود الظل القائم بغيره)، فسمع منه ما يملأ الآذان من حلول واتحاد وشطحات.

والعارفون من القوم أطلقوا هذه الألفاظ ونحوها، وأرادوا بها معاني صحيحة في نفسها فغلط الغالطون في فهم ما أرادوه، ونسبوهم إلى الحادهم وكفرهم).

ثامناً-ابن القيم يتكلم عن فناء الصوفية:

١-قال ابن القيم في المدارج (١٣٩/١)

[والفناء الذي يشير إليه القوم ويعملون عليه :أن تذهب المحدثات في شهود العبد وتغيب في أفق العدم كما كانت قبل أن توجد ويبقى الحق تعالى كما لم يزل ثم تغيب صورة المشاهِد ورسمه أيضا فلا يبقى له صورة ولا رسم ثم يغيب شهوده أيضا فلا لايبقى له شهود ويصير الحق هو الذي يشاهد نفسه بنفسه كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات وحقيقته :أن يفنى من لم

يكن ويبقى من لم يزل حتى قال: ...وليس مرادهم فناء وجود ماسوى الله في الخارج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم] أ.هـ.

٢-ويقول ابن القيم في المدارج (١/١٥٥)
(ولكن في حالة السكر والإصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التميز، وفي هذه الحال قد يقول صاحبها: ما يحكى عن أبي يزيد أنه قال: سبحاني أو ما في الجبة إلا الله، ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافراً، ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة).

٣-وفي ص٣٩ نجد ابن القيم يجسد نظرة ابن تيمية فيقول:
(وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس:
إحداهما حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لما حل من هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بهم مطلقا وهذا عدوان وإسراف... وهذه الشطحات ونحوها هي التي حذر منها سادات القوم وذموا عاقبتها وتبرءوا منها).

تاسعاً- ابن القيم والمقامات والأحوال :

١-قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج١ ص ١٣٥)
(ولأرباب السلوك اختلاف كثير في عدد المقامات وترتيبها، كل يصف منازل سيره وحال سلوكه، ولهم اختلاف في بعض منازل السير: هل هي من قسم الأحوال ؟ والفريق بينهما: أن المقامات كسبية والأحوال وهبية .
ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات، والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان أصلح عملاً كان أعلى مقاماً وكل من كان أعلى مقاما كان أعظم حالاً.

عاشراً- الفراسة عند الصوفية :

١-قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٢ ص٤٨٣)
(الفراسة: سببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب .
وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب ينفي مضاده، يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة، لكن الفريسة فعلية بمعنى مفعولة. وبناء الفراسة كبناء الولاية والامارة والسياسة. وهذه (الفراسة) على حسب قوة الايمان، فمن كان أقوى إيمانا فهو أحد فراسه.
قال أبو سعيد الخراز([1]): من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق، وتكون مواد علمه مع الحق بلاسهو ولاغفلة، بل حكم حق جرى على لسان عبده .

---

[1]) **أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز**، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري من أهل بغداد .وصفه أبو عبد الرحمن السلمي[؟]بأنه «من أئمة القوم وجلة مشايخهم. وقيل إنّه أول من تكلّم في علم الفناء والبقاء"، وقال عنه أيضًا: «إمام القوم في كل فن من علومهم، له في مبادئ أمره عجائب وكرامات مشهورة، ظهرت بركته عليه وعلى من صحبه وهو أحسن القوم كلامًا خلا الجنيد فإنه الإمام".
https://ar.wikipedia.org

وقال الواسطي: الفراسة شعاشع أنوار لمعت في القلوب، وتمكن معرفة جملة السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها فيتكلم عن ضمير الخلق .

وقال الداراني([1]): الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الايمان. وسئل بعضهم عن الفراسة ؟ فقال: أرواح تتقلب في الملكوت، فتشرف على معاني الغيوب، فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لاتطق ظن وحسبان .

وكان الجنيد([2]) يوماً يتكلم على الناس، فوقف عليه شاب نصراني متنكراً، فقال: أيها الشيخ مامعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)، فأطرق الجنيد، ثم رفع رأسه اليه وقال: فقد حان وقت اسلامك ،فأسلم الغلام .

وكان إياس بن معاوية من أعظم الناس فراسة، وله الوقائع المشهورة، وكذلك الشافعي رحمه الله، وقيل إن له فيها تآليف)أ.هـ.

وابن القيم يوافق قول رابع العدوية بعبودية الله تعالى من غير حظوظ، لاجله ورضاه ولانه يستحق العبادة

٢-قال ابن القيم في كتابه (الفوائد ص ١٠٩) مستشهداً

(**قال الأسود بن سالم([3]):** ركعتين أصليه لله أحب إليَّ من الجنة بما فيها. فقيل له: هذا خطأ، فقال: دعونا من كلامكم، الجنة رضى نفسي، والركعتان رضى ربي، ورضى ربي أحب إليَّ من رضى نفسي).

الحادي عشر- ابن القيم يتأدب مع شيخه الصوفي:

وهو (شيخ الاسلام العلامة أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الصوفي)([4]).

١-قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٢ ص٥٢)

---

[1]) **أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني،** أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن لام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، من أهل داريّا، قرية منقرى دمشق في سورية . وصفه الذهبي بـ» **الإمام الكبير، زاهد لعصر** .«ولد سنة 140هـ وتوفي سنة 215هـ . https://ar.wikipedia.org

[2]) **أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري** عالم مسلم أصله من نهاوند من مدن كردستان[٢] ، ولد ببغداد سنة نيف وعشرين ومئتين للهجرة ونشأ فيها[٣] .قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي) :هو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة).
https://ar.wikipedia.org

[3]) ابن أبي حاتم الرازي - الجرح والتعديل: الأسود بن سالم المتعبد روى عن سفيان بن عيينة روى عنه إسحاق بن موسى الخطمي.

[4]) هو شيخ الإسلام الإمام القدوة الحافظ الكبير الخواجة أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مت الأنصاري الهروي (396هـ-481هـ) متصوف عربي، وفقيه حنبلي، وشيخ خراسان الكبرى صاحب كتاب" ذم الكلام وأهله "، وشيخ خراسان، ويعود نسبه إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري .وكان جدّه أبو منصور التابعي قد شارك في فتح خراسان في عهد الخليفة عثمان بن عفان، واستقر بعد ذلك في هراة.

(والله يشكر لشيخ الاسلام "الهروي" سعيه، ويعلي درجته، ويجزيه أفضل جزائه، ويجمع بيننا وبينه في محل كرامته، فلو وجد مريده "ابن القيم" سعة وفسحة في ترك الاعتراض عليه واعتراض كلامه مافعل. كيف وقد نفعه الله بكلامه، وجلس بين يديه مجلس التلميذ من أستاذه.

وقفات مع الفقيه الأصولي المغربي، أبو إسحاق الشاطبي حول التصوف والصوفية ([1]).
الدكتور إسماعيل راضي ([2]).

١ـ مكانة الشاطبي العلمية:
تميز الفقيه الأصولي أبو إسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) بمنزلة عالية رفيعة بين علماء الأمة، وسطع نجمه حتى ارتقى مرتبة العلماء المجتهدين الذين خلّد التاريخ ذكرهم، وأثرى المكتبة الإسلامية حتى صار فكره سندا للأمة فقها وأصولاً وتفسيرًا وحديثا.

وصَفَ العلماء الإمام الشاطبي فقالوا في حقه: "الإمام العلامة، المحقق القدوة، الحافظ الجليل المجتهد، كان أصوليا مفسرًا، فقيها محدثا، لغويا بيانيا، نظارًا ثبتا، ورعا صالحا زاهدًا، سنيا إماما مطلقا، بحاثا مدققا جدليا، بارعا في العلوم، من أفراد العلماء المحققين الأثبات، وأكابر الأئمة المتقنين الثقات"، [3]ووصفه علماء التراجم بالإمامة، فقالوا: "له القدم الراسخ والإمامة العظمى في الفنون فقها وأصولاً وتفسيرًا وحديثا، وعربية وغيرها[4]."

٢ـمكانة التصوف عند الشاطبي من خلال كتابه «الاعتصام:
قام الشاطبي لمحاربة البدع خير قيام، وألف في ذلك كتابًا حافلاً نصر به سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وقمع به بدع المبتدعين، سماه "الاعتصام"؛ وهو كتاب في غاية الإجادة، تناول فيه موضوع البدع، وبحثها بحثا علميا، وسبرها بمعيار الأصول الشرعية، وقد أثنى على الكتاب (الاعتصام) المتقدمون من العلماء والمتأخرون، وكُتبت حوله الدراسات العلمية، وطبع أكثر من طبعة، ولا تكاد تخلو منه مكتبة طالب علم.

وقد تحدث هو بنفسه، في كتابه "الاعتصام"، عن بعض ما قام به في هذا الشأن من محاربة البدع وأهلها، فقال: "...لم أزل أتتبع البدع التي نبّه عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر منها، وبيَّن أنها ضلالة، وخروج عن الجادة، وأشار العلماء إلى تمييزها والتعريف بجملة منها؛ لَعَلِّي أجتنبها فيما استطعت، وأبحث عن السنن التي كادت تطفئ نورها تلك المحدثات؛ لعلي أجلو بالعمل سناها، وأُعَد يوم القيامة فيمن أحياها[5]."...

---

[1]) المملكة الغربية الرابطة المحمدية للعلماء

[2]) الدكتور إسماعيل راضي
•رئيس مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة التابع للرابطة المحمدية للعلماء.وأستاذ التعليم العالي بكلية العلوم بوجدة منذ سنة ١٩٩٣ إلى اليوم. وأستاذ بكلية الطب والصيدلة بوجدة منذ سنة ٢٠٠٨. ومُقرِّر للعديد من المجلاّت العلمية الدولية. ورئيس وعضو لما يزيد عن عَشْر وحَدات للتكوين والبحث الجامعي.

[3]) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٤٦ -٤٧.

[4]) نيل الابتهاج، ص ٤٧.

[5]) أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، الدار الأثرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ١/٢٤.

وقد اعتمد الإمام الشاطبي في كتابه "الاعتصام" على أكثر من أربعين شيخا من الصوفية الكرام في إقامة السُّنّة ودحض البدعة، إلى أنْ قال:
"الوجه الرابع من النقل: ما جاء في ذم البدع وأهلها عن الصوفية المشهورين عند الناس: وإنما خصصنا هذا الموضع بالذكر وإنْ كان فيما تقدم من النقل كفاية لأنّ كثيراً من الجهال يعتقدون أنهم متساهلون في الاتباع وأنّ اختراع العبادات والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه مما يقولون ويعملون عليه، وحاشاهم من ذلك أنْ يعتقدوه أو يقولوا به. فأول شيء بنوا عليه طريقتهم: اتبّاع السنة واجتناب ما خالفها. حتى زعم مذكرهم، وحافظ مأخذِهم، وعمود نحلتهم أبو القاسم القشيري أنهم إنما اختصوا باسم التصوف انفراداً عن أهل البدع[١]."
ووَصف الصوفية بأوصاف حميدة، فقال: "الصوفية الذين نُسِبت إليهم الطريقة مُجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها. ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فِرقة من الفرق الضالة، ولا من يميل إلى خلاف السُّنة. وأكثر من ذُكِر منهم علماء وفقهاء ومحدثون، وممن يؤخذ عنه الدين أصولاً وفروعاً، ومن لم يكن كذلك فلابد له من أن يكون فقيهاً فى دينه بمقدار كفايته[٢]."
وأثنى عليهم بوصفهم: "أهل الحقائق والمواجد والأذواق والأحوال والأسرار التَّوحيدية، فهم الحُجّة لنا على كل مَن ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على منهاجهم[٣]."...
إلى أن قال: "ولـمّا كان أهلُ التصوف في طريقهم –بالنسبة إلى إجماعهم على أمر- كسائر أهل العلوم في علومهم؛ أتيت من كلامهم بما يقومُ منه دليلٌ على مَدْح السُّنَّة وذمِّ البِدعة في طريقتهم، حتى يكون دليلا لنا من جهتهم على أهل البدع عموما، وعلى الـمُدّعين في طريقهم خصوصا، وبالله التوفيق[٤]."
وقد كان في نيته أنْ يُخصِّص مؤلَّفا للإشادة بطريق التصوف وتحصينه من أهل البدع والأهواء، حيث قال: "وفي غرضي إنْ فسح الله في المدة، وأعانني بفضله ويسّر لي الأسباب، أنْ ألخِّص في طريقة القوم أنموذجاً يُستدل به على صحتها وجريانها على الطريقة المثلى، وأنه إنما داخلتها المفاسد وتطرقت إليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم على عهد ذلك السلف الصالح، وادعوا الدُّخول فيها من غير سلوك شرعي، ولا فهم لمقاصد أهلها، وتقولوا عليهم ما لم يقولوا به، حتى صارت في هذا الزمان الأخير كأنها شريعة أخرى غير ما أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم... وطريقة القوم بريئة من هذا الخُبَاطِ بحمد الله[٥]."
وجاء في آخر الجزء الأول من كتابه الاعتصام ما يُؤكِّد عزمه على تأليف كتاب يعالج فيه التصوف ويرُدُّ ما أُدخل فيه مما ليس منه، فقال: "وإنْ فسح الله في المدة، وأعان بفضله؛ بسطنا الكلام في هذا الباب في كتاب مذهب أهل التصوف، وبيان ما أدخل فيه مما ليس بطريق لهم[٦]."
ولكن الـمَنِيَّة عاجلت الشاطبي قبْل أن يُحقِّق عزمه، ووفاه الأجل قبل أن يضع مصنَّفَه... ويبقى التصوف الذي تَبوَّأ مكاناً هامًّا وأساسيّاً في الفكر الإسلامي، المجال الذي استثمر الثروة

---

[١]) المصدر السابق،١/١٤٧-١٤٨.
[٢]) نفسه، ١/١٦٥-١٦٦.
[٣]) نفسه، ١/١٦٦.
[٤]) نفسه.
[٥]) نفسه، ١/١٤٨.
[٦]) نفسه، ١/٣٦٨.

الروحية للإسلام، والذي فجّر ينابيع الذوق الديني الصّحيح السليم، وحقيقته القائمة على معرفة الله تعالى، وعلى اتباع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال والأحوال...

٣-مواقف الشاطبي من التصوف والصوفية من خلال كتابه: (الموافقات):

نُتابع موقف الفقيه الأصولي المغربي، الإمام الشاطبي، من التصوف والصوفية، من خلال كتابه: "الموافقات في أصول الشريعة"، وهو الذي بنى فيه صرح علم المقاصد بالاعتماد على الصوفية في جُملة من مباحثه، مع العلم أن البوادر الأولى لنشوء علم المقاصد بدأت مع الحكيم الترمذي الصوفي المشهور.

إنّ من الأصول التي بنى عليها الصوفية مذهبهم في العمل بمقاصد الشريعة، أخْذُهُم بالعزائم دون الركون إلى الرخص، لذلك مدح الشاطبي طريقتهم واعتبرها مسلكا سليما في السلوك، لأن تَتَبُّع الرخص فيه اتباع لشهوات النفس وأهوائها، وفيه عدم الائتمان من السقوط في حبائل الشيطان ومكره، قال الشاطبي: "ولأجل هذا أوصى شيوخ الصوفية تلامذتهم بترك اتباع الرخص جملة، وجعلوا من أصولهم الأخذ بعزائم العلم وهو أصل صحيح مليح، مما أظهروا من فوائدهم رحمهم الله[١]."

كما أثنى الشاطبي على الصوفية الكرام في سُلوكهم ومَسْلكِهم لعدم التفاتهم وانسياقهم وراء الحظوظ العاجلة الفانية، قال: "وبيان ذلك أن أرباب الأحوال عاملون في أحوالهم على إسقاط الحظوظ، بلغوا غاية الجهد في أداء الحقوق، إما لسائق الخوف، أو لحادي الرجاء، أو لحامل المحبة؛ فحظوظهم العاجلة قد سقطت من أيديهم بأمر شاغل عن غير ما هم فيه، فليس لهم عن الأعمال فترة، ولا عن جد السير راحة... وأيضا فإن الله تعالى سهَّل عليهم ما عسر على غيرهم، وأيّدَهم بقوة منه على ما تحملوه مِن القيام بخدمته، حتى صار الشاق على الناس غير شاق عليهم، والثقيل على غيرهم خفيفاً عليهم، فكيف يقدر على الاقتداء بهم ضعيف المنّة عن حمل تلك الأعباء، أو مريض العزم في قطع مسافات النفس، أو خامد الطلب لتلك المراتب العلية، أو راضٍ بالأوائل، عن الغايات؟[٢]."

قال رحمه الله: "فإن قيل على أي معنى يفهم إسقاط النظر في المسببات؟ وكيف ينضبط ما يعد كذلك مما لا يعد كذلك؟ فالجواب أن ترك الحظوظ قد يكون ظاهرا بمعنى عدم التفات القلب إليها جملة وهذا قليل. وأكثر ما يختص بهذا أرباب الأحوال من الصوفية. فهو يقوم بالسبب مطلقا، من غير أن ينظر هل له مسبب أم لا[٣]."

إن هذا المسلك الذي سلكه الصوفية جعلهم لا يخرجون عن الوسطية والاعتدال التي هي من خصائص هذه الأمة، بل هم واقفون عند حدود الشرع في حركاتهم وسكناتهم، قال الشاطبي: "ومن طالع سير الأولياء وجدهم محافظين على ظواهر الشريعة[٤]."...

---

[١]) الشاطبي، الموافقات،كتاب الأحكام، المحقق: عبد الله دراز ومحمد عبد الله وعبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٧، ٢٠٠٥، ١/٢٥٢.

[٢]) المصدر السابق، ٤/٢٠٩ -٢١٠

[٣]) نفسه، ١/١٦٦-١٦٧.

[٤]) نفسه، ٢/٢٠٧.

ثُمّ يدافع عن أحوالهم بقوله: "فيظن الظان أنهم شدُّوا على أنفسهم، وتكلّفوا ما لم يُكلفوا ودخلوا على غير مدخل أهل الشريعة، وحاش لله! ما كانوا ليفعلوا ذلك وقد بنوا نحلتهم على اتباع السنة وهم باتفاق أهل السنة صفوة الله من الخليقة[١]."

إنّ مَن تتبع أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده يجد بأنهم كانوا يأخذون بالعزائم لما فيها من القيام بحقوق العبودية، ويذرون تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام، وفي هذا يقول الإمام الشاطبي: "وإذا نظرت إلى أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله تبين لك فرق ما بين القسمين، وبون ما بين المنزلتين، وكذلك ما يؤثر من شيم الصحابة واتصافهم بمقتضى تلك الأصول. وعلى هذا القسم الأول عوّل من شَهر من أهل التصوف، وبذلك سادوا غيرهم ممن لم يبلغ مبالغهم في الاتصاف بأوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه[٢]."...

فالصوفية الكرام يُبقون الحكم تابعا لمجرد الاقتضاء وليس للاقتضاء، فلا فرق في مقتضى الطلب عندهم بين واجب ومندوب ولا بين مكروه ومحرم، قال الشاطبي: "إن الأوامر والنواهي في التأكيد ليست على رتبة واحدة في الطلب الفعلي أو التركي، وإنما ذلك بحسب تفاوت المصالح الناشئة عن امتثال الأوامر واجتناب النواهي، والمفاسد الناشئة عن مخالفة ذلك. وعلى ذلك التقدير يتصور انقسام الاقتضاء إلى أربعة أقسام: وهي الوجوب، والندب، والكراهة، والتحريم. وثَمَّ اعتبار آخر لا ينقسم فيه ذلك الانقسام، بل يبقى الحكم تابعا لمجرد الاقتضاء، وليس للاقتضاء إلا وجهان: "أحدهما" اقتضاء الفعل، و"الآخر" اقتضاء الترك. فلا فرق في مقتضى الطلب بين واجب ومندوب، ولا بين مكروه ومحرم. وهذا الاعتبار جرى عليه أرباب الأحوال من الصوفية، ومن حذا حذوهم ممن طّرح مطالب الدنيا جملة، وأخذ بالحزم والعزم في سلوك طريق الآخرة، إذ لم يفرقوا بين واجب ومندوب في العمل بهما، ولا بين مكروه ومحرم في ترك العمل بهما؛ بل ربما أطلق بعضهم على المندوب أنه واجب على السالك، وعلى المكروه أنه محرم. وهؤلاء هم الذين عدوا المباحات من قبيل الرخص كما مر في أحكام الرخص[٣]."

وبهذا يتميز نظر الصوفية عن نظر الفقهاء؛ فهم ينظرون إلى مآلات الأفعال من تحصيل الكمال والتقرب إلى مولاهم بأحسن هيئة وأتم صورة، يقول الشيخ زروق في قواعده: "نَظَرُ الصوفي للمعاملات أخص من نظر الفقيه، إذ الفقيه يعتبر ما يسقط به الحرج، والصوفي ينظر ما يحصل به الكمال[٤]."

وانتبه الشاطبي إلى ادعاءات ومغالطات المحرفين لصفاء التصوف، فقال: "أن كثيرا يتوهمون أن الصوفية أبيح لهم أشياء لم تبح لغيرهم، لأنهم ترقَّوا عن رتبة العوام المنهمكين في الشهوات، إلى رتبة الملائكة الذين سلبوا الاتصاف بطلبها والميل إليها[٥]."...

كما دحض مزاعم الإنكار على أحوال الصوفية وفهومهم، فقال: "كل ما نقل عن الأولياء أو العلماء، أو ينقل إلى يوم القيامة، من الأحوال والخوارق والعلوم والفهوم وغيرها، فهي أفراد وجزئيات داخلة تحت كليات ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم[١]."انتهى.

---

[١]) نفسه، ٤/١٧٤.
[٢]) نفسه، ٤/١٧٣.
[٣]) نفسه، ٣/١٧٨ -١٧٩.
[٤]) قواعد التصوف للشيخ زروق، قاعدة ٥٥.
[٥]) الموافقات، ٢/١٨٩.

الملحق الرابع

الصلاة في المساجد التي يوجد بها أضرحة الأولياء والصالحين.

فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة محمد.

الصلاة في المساجد التي يوجد بها أضرحة الأولياء والصالحين صحيحة ومشروعة، بل إنها تصل إلى درجة الاستحباب، وذلك ثابت بالكتاب والسنة وفعل الصحابة وإجماع الأمة الفعلي:

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ . [الكهف: ٢١] . وسياق الآية يدل على أن القول الأول هو قول المشركين، وأن القول الثاني هو قول الموحدين، وقد حكى الله تعالى القولين دون إنكار، فدل ذلك على إمضاء الشريعة لهما، بل إن سياق قول الموحدين يفيد المدح، بدليل المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، بينما جاء قول الموحدين قاطعا، وأن مرادهم ليس مجرد البناء بل المطلوب إنما هو المسجد . قال الإمام الرازي في تفسير ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾: "نعبد الله فيه، ونستبقي آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد ." اهـ .

وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي: " في هذه دليل على اتخاذ المساجد على قبور الصالحين ." اهـ.

ومن السنة:

حديث أبي بصير -رضي الله عنه - الذي رواه عبد الرزاق عن معمر، وابن إسحاق في السيرة، وموسى بن عقبة في - مغازيه- وهي أصح المغازي كما يقول الإمام مالك ثلاثتهم عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم -رضي الله عنهم -:

"أن أبا جندل بن سهيل بن عمرو دفن أبا بصير -رضي الله عنه - لما مات وبنى على قبره مسجدا بسيف البحر، وذلك بمحضر ثلاثمائة من الصحابة ." وهذا إسناد صحيح، كله أئمة ثقات، ومثل هذا الفعل لا يخفى على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم-، ومع ذلك فلم يرد أنه- صلى الله عليه وآله وسلم- أمر بإخراج القبر من المسجد أو نبشه.

كما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: (في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا) . أخرجه البزار والطبراني في المعجم الكبير، وقال الحافظ بن حجر في مختصر زوائد البزار: " هو إسناد صحيح ."

وقد ثبت في الآثار أن سيدنا إسماعيل - عليه السلام- وأمه هاجر -رضي الله عنها - قد دفنا في الحجر من البيت الحرام، وهذا هو الذي ذكره ثقات المؤرخين واعتمده علماء السير: كابن إسحاق في السيرة، وابن جرير الطبري في تاريخه، والسهيلي في الروض الأنف، وابن الجوزي في المنتظم، وابن الأثير في الكامل، والذهبي في تاريخ الإسلام، وابن كثير في البداية والنهاية، وغيرهم من مؤرخي الإسلام، وأقر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ذلك، ولم يأمر بنبش هذه القبور وإخراجها من مسجد الخيف أو من المسجد الحرام . وأما فعل الصحابة: فقد حكاه الإمام مالك في الموطأ بلاغا صحيحا عندما ذكر اختلاف الصحابة في مكان دفن الحبيب -صلى الله عليه وآله وسلم - فقال:

---

[١]) نفسه، ٢/١٩٨.

" فقال ناس: **يدفن عند المنبر**، وقال آخرون: يدفن بالبقيع، فجاء أبو بكر الصديق- رضي الله عنه - فقال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: **(ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه)**، فحفر له فيه ." اهـ، والمنبر من المسجد قطعا، ولم ينكر أحد من الصحابة هذا الاقتراح، وإنما عدل عنه أبو بكر -رضي الله عنه- تطبيقا لأمر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم - أن يدفن حيث قبضت روحه الشريفة -صلى الله عليه وآله وسلم -، فدفن في حجرة السيدة عائشة -رضي الله عنها - المتصلة بمسجده الذي يصلي فيه المسلمون، وهذا هو نفس وضع المساجد المتصلة بحجرات أضرحة الأولياء والصالحين في زماننا.

وأما دعوى الخصوصية في ذلك للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فهي غير صحيحة؛ لأنها دعوى لا دليل عليها، بل هي باطلة قطعا بدفن سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر -رضي الله عنهما- في هذه الحجرة التي كانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- تعيش فيها وتصلي فيها صلواتها المفروضة والمندوبة، فكان ذلك إجماعا من الصحابة -رضي الله عنهم- على جوازه.

ومن إجماع الأمة الفعلي وإقرار علمائها لذلك: صلاة المسلمين سلفا وخلفا في مسجد سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- والمساجد التي بها أضرحة بغير نكير، وإقرار العلماء من لدن الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة الذين وافقوا على إدخال الحجرة النبوية الشريفة إلى المسجد النبوي سنة ثمان وثمانين للهجرة، وذلك بأمر الوليد بن عبد الملك لعامله على المدينة حينئذ عمر بن عبد العزيز- رحمه الله -، ولم يعترض منهم **إلا سعيد بن المسيب** لا لأنه يرى حرمة الصلاة في المساجد التي بها قبور، بل لأنه كان يريد أن تبقى حجرات النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كما هي يطلع عليها المسلمون حتى يزهدوا في الدنيا ويعلموا كيف كان يعيش نبيهم -صلى الله عليه وآله وسلم-، وأما حديث عائشة -رضي الله عنها - في الصحيحين أن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم - قال: **(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) . فالمساجد: جمع مسجد، والمسجد في اللغة:**

مصدر ميمي يصلح للدلالة على الزمان والمكان والحدث، ومعنى اتخاذ القبور مساجد: السجود لها على وجه تعظيمها وعبادتها كما يسجد المشركون للأصنام والأوثان كما فسرته الرواية الصحيحة الأخرى للحديث عند ابن سعد في الطبقات الكبرى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعا بلفظ: (**اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**، فجملة (لعن الله قوماً) بيان لمعنى جعل القبر وثنا، والمعنى: اللهم لا تجعل قبري وثنا يسجد له ويعبد كما سجد قوم لقبور أنبيائهم .

قال الإمام البيضاوي: " لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم؛ تعظيما لشأنهم، ويجعلونها قبلة، ويتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثانا، لعنهم الله، ومنع المسلمين عن مثل ذلك ونهاهم عنه، أما من اتخذ مسجدا بجوار صالح أو صلى في مقبرته وقصد به الاستظهار بروحه ووصول أثر من آثار عبادته إليه لا التعظيم له والتوجه فلا حرج عليه، ألا ترى أن مدفن إسماعيل في المسجد الحرام ثم الحطيم، ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى المصلي بصلاته، والنهي عن الصلاة في المقابر مختص بالمنبوشة، لما فيها من النجاسة ." اهـ.

ومن المقرر شرعا أن مكان القبر إما أن يكون مملوكا لصاحبه قبل موته، أو موقوفا عليه بعده، وشرط الواقف كنص الشارع، فلا يجوز أن يتخذ هذا المكان لأي غرض آخر، وقد حرم الإسلام انتهاك حرمة الأموات، فلا يجوز التعرض لقبورهم بالنبش؛ لأن حرمة المسلم ميتا كحرمته حيا، فإذا كان صاحب القبر من أولياء الله الصالحين فإن الاعتداء عليه بنبش قبره أو إزالته أشد حرمة وأعظم جرما، فإنهم موضع نظر الله تعالى، ومن نالهم بسوء أو أذى فقد

تعرض لحرب الله عز وجل، كما جاء في الحديث القدسي: **(من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)**، .رواه البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه .- وعليه وفي واقعة السؤال: فإنه لا يجوز نبش هذين الضريحين وانتهاك حرمة الوليين الصالحين بحجة ضم المسجدين وجعلهما مسجدا واحدا، وجعل القبرين عقبة في سبيل ذلك، بل يضم المسجدان لبعضهما ويبقى الضريحان في مكانهما، ولا يجوز التوصل إلى فعل الخير بفعل الباطل، ولا يحل شرعا للقائمين على المسجدين أن يوافقوا من اشترط إزالة الضريحين لبناء المسجد على ذلك، بل يجب إبقاء المسجدين على حالهما حتى يقيض الله تعالى من أهل الخير والصلاح من يعرف لأوليائه قدرهم ويحفظ لهم حرمتهم فيبنى المسجدان مسجدا واحدا بضريحيه، وتتحقق إقامة بنيانه على تقوى من الله ورضوان . والله سبحانه وتعالى أعلم.

في شواهد التبرك بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم **الأعظم وأدلته نقول:** إن حب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، الذي هو من الإيمان الحقيقي ليس مجرد ذكره باللسان بل يقين في القلب. وترى المحب ولوعاً بالصلاة عليه، حريصاً على اتباعه وإحياء سنته.

لقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على قدر كبير من هذه المحبة، فكانوا يؤثرونه على كل ما يحبون، وكانوا في غاية الأدب عند صحبته ومجالسته، وكأن على رؤوسهم الطير، وكانوا يتبركون بآثاره ويتزاحمون للحصول على ريقه وعرقه وفضل شرابه ووضوئه، وكانوا يتحرّون مواضع جلوسه وصلاته ويتبعون مواضع يده من الطعام ويحتفظون بآثاره التي هي عندهم من الغالي والنفيس وبهذا وصفهم عدوهم بعد رجوعه من مفاوضة صلح الحديبية إذ قال لقومه: **(والله لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي فما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه كما يعظمون أصحاب محمد محمداً، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على فضلة وضوئه، واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له ولم تقع نخامة له إلا في يد رجل يدلك بها). (١)** والرسول صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ولا ينكره

من الشواهد على ما تركه الرسول صلى الله عليه وسلم من آثار نورانية مما تبرك بها وتعلق الصحابة والتابعون ومن تبعهم بها، نذكر ما يأتي:

١-أثر شعره صلى الله تعالى عليه و سلم والتبرك به:

عن أنس ضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا وفي يد رجل. (٢)

وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه قد فقد قلنسوته في أحد المعارك فقاتل أشد القتال حتى استعادها ثم سئل فقال: إنها تحوي من شعر رسول الله وبها كنت أتبرك وانتصر.

وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنها تحتفظ من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في جلجل لها (يشبه القارورة يحفظ به ما يراد صيانته) فكان إذا أصاب أحداً من الصحابة عين أو أذى أرسل إليها إناء فيه ماء فجعلت الشعرات في الماء ثم أخذوا الماء يشربونه توسلاً للاستشفاء والتبرك به. (٣)

---

١) صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٩٧٦

٢) صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٨١٢ برقم ٢٣٢٥

٣) الشيخ أبي الفرج بن الجوزي – المناقب.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الجمرة فرماها ثم أتى منـزله بمنى ونحر وقال للحلاق: خذ وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس.([1])

يروي عبد الله عن أبيه أحمد بن حنبل فيقول: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فيضعها على فيه ويقبلها وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به ، ولما كانت محنته العصيبة، كانت ثلاث شعرات من شعر الرسول صلى الله عليه وسلم معه وبعد أن أنجاه الله تعالى من محنته احتفظ بتلك الشعرات المباركات وأوصى أن توضع بعد موته، شعرة في عينه اليمنى وتوضع الأخرى في الأخرى وأما الثالثة ففي فمه ثم يدفن.([2])

٢-أثره فيمن يلمسه صلى الله تعالى عليه و سلم:

عن عون عن أبيه أبي جحيفة قال في آخر حديث طويل: (فقام الناس وجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم – يعني الرسول صلى الله عليه وسلم - قال فأخذت بيده ووضعتها على وجهي فإذا هي ابرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك).([3])

وعن صفية بن مجزاة أن أبا محذورة كانت له قَصّة في مقدم رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض، فقالوا له ألا تحلقها فقال: إن رسول الله مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقها حتى أموت. ([4])

قال ثابت البناني لأنس: أمسست النبي صلى الله عليه وسلم بيدك ؟

قال: نعم، فقبلها.([5])

عن عبد الرحمن بن رزين قال: مررنا بالربذة فقيل لنا: ههنا سلمة بن الأكوع (وهو صحابي جليل عاش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) فأتيناه فسلمنا عليه فأخرج يده فقال: بايعت بهاتين نبي الله فقمنا اليها فقبلناها. ([6])

٣-أثره فيما لمسه صلى الله تعالى عليه وسلم:

روى الترمذي بسنده عن كبشة قالت: دخل عليّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشرب من قربة معلقة قائمة فقمت إلى فيها فقطعته.([7])

كان أبو أيوب الأنصاري يحدث عن أيام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل في بيته فقال: (كنا نضع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة).([8])

---

[1]) صحيح مسلم ج ٢ ص ٩٤٧ برقم ١٣٠٥

[2]) محمد بن احمد الذهبي – سير اعلام النبلاء – ج١١ ص ٢١٢.

[3]) رواه البخاري – ج٢ ص١٦٥.

[4]) المستدرك على الصحيحين ج: ٣ ص: ٥٨٩ برقم ٦١٨١.

[5]) الأدب المفرد ج: ١ ص: ٣٣٨برقم ٩٧٤.

[6]) الأدب المفرد ج: ١ ص: ٣٣٨برقم ٩٧٣.

[7]) سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٣٠٦ برقم ١٨٩٢.

[8]) ابن هشام - السيرة النبوية ج: ٣ ص: ٢٨.

وعن ابي بردة قال: قدمت المدينة فلقيني عبد الله بن سلام فقال لي: انطلق إلى المنـزل فأسقيك من قدح شرب فيه النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقت معه فسقاني وأطعمني تمراً وصليت في مسجده. ([1]) وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يلمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتبرك به.

٤-أثر جبته صلى الله تعالى عليه و سلم والتبرك بها:
في الصحيح عن أسماء بنت ابي بكر أنها أخرجت جبة وقالت: كان رسول الله يلبسها فنحن نغسلها للمرضى ليستشفوا بها، وكانوا يفعلون ذلك فيشفون.([2])

٥-أثر وضوئه ولمسه الماء صلى الله تعالى عليه و سلم والتبرك به:
في صحيح مسلم وشمائل الترمذي أنه كان إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه إلا غمس يده الشريفة فيه، وربما كان ذلك في الغداة الباردة فيغمس يده في الماء ولا يردهم خائبين.
أخرج البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ، فجعل الناس يأخذون من فضل ماء وضوئه فيتمسحون بها.
عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم: إن ابن اختي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه.

٦-أثر دمه صلى الله تعالى عليه و سلم والتبرك به:
ذكر القاضي عياض أن مالكاً بن سنان مص دم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال: لن تصيبه النار.

٧-أثر عرقه صلى الله تعالى عليه و سلم والتبرك به:
أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أنس أن رسول الله كان يدخل على بيت ام سليم فينام على فراشها وليست فيه، فجاء ذات يوم ونام على فراشها فأتت فقيل لها: هذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم في بيتك على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشق ذلك العرق في قواريرها، ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تصنعين يا أم سليم ؟ قالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت.

٨-أثر تراب مقامه صلى الله تعالى عليه و سلم والتبرك به:
وعن داود بن أبي صالح قال: « أقبل مروان فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال: أتدري ما تصنع ؟
قال: نعم فأقبل عليه، فإذا هو أبو أيوب الأنصاري.
فقال: نعم جئت رسول الله ولم آت الحجر .. ([3])

---

[1]) صحيح البخاري - حديث رقم ٧٣٤٢.
[2]) صحيح مسلم / كتاب اللباس والزينة. (145 / 3)
[3]) المستدرك على الصحيحين ج: ٤ ص: ٥٦٠ برقم ٨٥٧١.

وقال السمهودي في وفاء الوفاء ما نصه: « لما قدم بلال لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم أتى القبر فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه. ([1])

٩-أثر نعله صلى الله تعالى عليه و سلم والتبرك به:

كان ابن مسعود من أطيب الناس ريحاً، تعظيماً لنعل الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حمله، وكان هو الذي يلبس رسول الله نعليه ويمشي أمامه بالعصا حتى يدخل أمامه الحجرة، فإذا أتى رسول الله مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا.([2])

يتبين مما تقدم أن الصحابة والتابعين كانوا سباقين بالتبرك بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم وأدواته ولم ينههم عن ذلك، بل على العكس نراه يحث عليها لتتنور بها قلوب المحبين له وتزداد بركة، فالتبرك بآثاره من شعائر الله التي تعظيمها من تقوى القلوب.

آثار المشايخ والتبرك بها:

ذكر الخطيب في تاريخه أن الإمام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر أبي حنيفة مدة إقامته بالعراق.

روي أن الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي أصيب بدمل أعجزه علاجه فمسح به قبر الإمام أحمد بن حنبل فبريء.

قال الحافظ العراقي روينا أن الإمام أحمد بن حنبل تبرك بالشرب من ماء غسل فيه قميص الإمام الشافعي.

وبكل ما تقدم تبين جواز التبرك بآثار المشايخ الكرام وأولياء الله كما يجوز التوسل إلى الله تعالى بما لهم عنده سبحانه وتعالى.

فائدة صوفية:

للمريد أن يتبرك بآثار شيخه الصالح، فالبركة النورانية موجوده في أثر الصالح والمكان الذي حل فيه الشيخ الكامل تحل فيه البركة.

---

[1]) الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية – ص ١٥٦.

[2]) الشيخ عبد الوهاب الشعراني – الطبقات الكبرى – ج١ ص٢٢

الفهرست	
الموضوع	الصفحة
مقدمة د.السيد أبو يعقوب يوسف بن السيد هاشم الرفاعي	
مقدمة المعد: محمد نور بن عبد الحفيظ سويد	
مقدمة المؤلف زين آل سميط الحسيني الشافعي وترجمته	
١- (الفصل الأول) في التوسل	
٢- (الفصل الثاني) في الاستغاثة	
٣- (الفصل الثالث) (نفع الأموات للأحياء)	
٤- (الفصل الرابع) التبرك	
٥- (الفصل الخامس) في زيارة القبور	
٦- (الفصل السادس) (سماع الأموات)	
٧- (الفصل السابع) (إهداء الثواب للأموات)	
٨- (الفصل الثامن) (حكم القبور)	
٩- (الفصل التاسع) (حكم الأولياء)	
١٠- (الفصل العاشر) (حكم الأيمان والنذور)	
١١- (الفصل الحادي عشر) كرامات الأولياء	
١٢- (الفصل الثاني عشر) (رؤية النبي في المنام)	
١٣- (الفصل الثالث عشر) (حكم الخَضِر)	
١٤- (الفصل الرابع عشر) الاستشفاء بالقرآن والأسماء الإلهية	
١٥- (الفصل الخامس عشر) (حكم المولد الشريف)	
١٦- (الفصل السادس عشر) (حكم الاجتماع على الذكر)	
١٧- (الفصل السابع عشر) في الحث على محبة أهل البيت	
- خاتمة من الدكتور السيد أبو يعقوب يوسف الرفاعي	
- مداخلة المعد محمد نور بن عبد الحفيظ سويد	
ملحق رقم (١) فتوى في تحريم التكفير	
ملحق رقم (٢) عن الصوفية ابن تيمية وابن القيم والشاطبي ود علي جمعة.	
ملحق (٣) مقالة د علي جمعة عن الأضرحة	